كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر
ISBN: 978-9922-685-32-8

سلسلة أهل البيت عليهم السلام

الدكتور
محمد التيجاني السماوي

٢٠٢٣م

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٢٢٢

ت ١٩٣٢ التيجاني ، محمد

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

محمد التيجاني السماوي

ط ١ . بغداد : مطبعة الرفاه ، ٢٠٢٣

١٩٠ ص ؛ ٢٤ سم .

١ ـ القرآن الكريم ـ تفسير أ ـ العنوان .

م.و.

٢٠٢٣/١٢٥١

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٢٥١)

لسنة ٢٠٢٣ م

ISPN : 978-9922-685-32-8

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

مطبعة الرفاه 07902823204

الإهداء

إلى كلّ منصفٍ باحثٍ عن الحقّ

إلى كلّ مسلم يُريد الخير لأمّته

إلى كلّ من يعمل فقط لوجه الله

إلى كلّ مؤمن غيورٌ على دينه

إلى كلّ من يرفع شعار هيهات منّا الذّلة

إلى كلّ من يسعى للوحدة بين المسلمين

إلى كلّ رجلٍ يسعى للكرامة والحرّية

إلى كلّ عبدٍ يخاف الله يوم الحساب

إلى كلّ هؤلاء أهدي كتابي راجياً

رضاه سبحانه يوم حسابي

محمّد التيجاني السّماوي

المقدّمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصّلاة وأزكى التّسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيّدنا ومولانا محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين المعصومين.

ورضوان الله تعالى على أصحابه المنتجبين الذين ثبتوا من بعده على الولاء لأمير المؤمنين، وما غيّروا وما بدّلوا وكانوا لله من الشّاكرين.

الحمد لله ربّ العالمين الذي منّ علينا بالهداية والرعاية والتّمكين، ووفّقنا لخير الدنيا والآخرة وحبانا بنعمه الظّاهرة والباطنة، وأعطانا من كلّ ما سألناه بغير حساب وفتح لنا صنوف الخير والرّزق من كلّ باب.

نحمده حمداً يوافي نعمه ونشكره شكراً يُكافي مزيده وإحسانه ويليق بجلال وجمال وجهه الكريم إنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم وهو على كلّ شيء قدير.

ونصلّي ونُسلم على الطُّهر الطّاهر والعلم الظّاهر والكوكب الزّاهر المنصور المؤيّد والرّسول الأمجد حبيب إله العالمين أبي القاسم محمّد بن عبدالله وعلى آله الطّيبين الطّاهرين الأئمّة المعصومين من كانوا كجدّهم رحمة للعالمين.

وعلى بقية الله في الأرضين الذي سيملأها عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، ويظهر به دين الإسلام على الدين كلّه ولو كره المشركون، ويتحقّق بذلك وعد الله، إنّ وعده الله حقّ فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغَرور.

أيّها القارئ العزيز الباحث عن الحقّ والنجاة وكما عوّدتك في كلّ كتبي بالحياد والتجرّد بعيداً عن تأثير العاطفة لا أبغي بذلك إلا الوصول إلى الحقيقة إبتغاء مرضاة الله سبحانه فهو الهادي إلى سواء السّبيل.

أقدّم كتابي هذا لك ولكلّ باحث مستنير بنور الله ليكون دعوةً صادقة لتأليف القلوب وجمع المسلمين في أمّةٍ واحدة كما أرادها الله تعالى لتكون خير أمّة أخرجت للنّاس.

وسوف ترى بأنّ الخلاف بين أهل السّنة والجماعة وإخوانهم الشّيعة أتباع أهل البيت خلاف بسيط قد يزول بمجرد الشّرح والتّفسير وستكتشف أنّ ما يُعيبه المسلم السُّني على أخيه المسلم الشّيعي هو نفسه يقول به.

ولكلّ ذلك حاولت في هذا الكتاب أنْ أقرّب وجهات النّظر للفريقين حتّى تزول الخلافات ويزول التنابز بالألقاب والإتّهامات الباطلة ولا تبقى غير المحبّة والأخوّة الصّادقة.

فربّنا واحد ونبيّنا واحد وقرآنُنا واحد وقبلتنا واحدة، وحجّنا واحد، وصلاتنا واحدة كفانا تفريقاً وتمزيقاً واختلافاً وحقداً وكراهية عدوّنا واحد يتربّص بنا للإستيلاء علينا جميعاً سنّة وشيعة فهو يُريد القضاء على الإسلام بأسره...

فالنتوحّد كما أمرنا الله سبحانه في كتابه العزيز:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ*وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِّ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

اللهمّ ألّف بين قلوبنا مرّة أخرى وأنقذنا من نار الفرقة والإختلاف إنّك على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

الفقير لرحمة ربّه : محمّد التيجاني السّماوي

---

(1) آل عمران، آية 102 ـ 103.

سَبّ الصّحابة

لقد طبّل الكثير ممّن يريدون إثارة الفتنة بين المسلمين على هذا الوتر الحسّاس الذي يُدغدغ شعور الإنسان لما يحمله في نفسه وعقيدته من إحترام وتقدير لأولئك الذين صاحبوا الرّسول وجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم حتّى جاء نصرُ الله والفتح.

وقد راجتَ هذه الفكرة (أعني سبّ الصّحابة) عند أغلب السنّة والجماعة فإنّك إذا سألت أحدهم: ماذا تعرف عن الشيعة؟ فسيُجيبك قطعاً: إنّهم يسبُّون الصّحابة!!

وإنّي أجزم أنّه ما تكلّم مع شيعيّاً طيلة حياته ولا سمع شيعيّاً يسبّ الصّحابة، ولكنّه يُردّد ما سمعه من بعض أئمّة المساجد والمشائخ الذين يعتقدُ بصدقهم وإخلاصهم.

ومن خلال ممارستي ونقاشي مع هؤلاء الأئمّة والمشايخ إكتشفتُ حقيقة عقيدتهم في معنى «سبّ الصّحابة».

وبما أنّني أوّل من إتّهمه أولئك المشايخ بهذه التّهمة الشّنيعة (سبّ الصّحابة) فلا بدّ أن أوضّح في هذا الفصل ماذا يقصدون من هذا «السّب».

وإلى كل مؤمن باحث عن الحقّ أُقدّم هذا البيان:

لما فتح الله بصيرتي على حقيقة أهل البيت عليهم السلام وعرفتُ من خلال الأبحاث التأريخية والسّيرة النّبوية بأن هناك من الصّحابة مّن كذّب على رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا مؤكّد ولا يخفى على كلّ باحث منصف بل يؤكّده رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه في حديث صحيح أخرجه أهل السنّة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وهو قوله: «كثُرتُ عليَّ الكذّابة فمن كذب عليَّ فليتبؤا معقدهُ من النار» وهذا حديثٌ صريحٌ في أنّ المقصود من كثرة الكذّابة هم بعض الصّحابة ولا يختلف إثنان ممّن درس اللغة العربية في دلالة الحديث على ذلك .

لكنّ أهل السنّة والجماعة الذين ألزمُوا أنفسهم بنظرية عدالة كلّ الصّحابة بدون إستثناء وجدوا أنفسهم مُضطرين بالقول بعدم التكلّم أو التعرّض أو النقد أو الخوض في ما فعله الصّحابة بل ذهبُوا في ذلك شوطاً بعيداً فحكمُوا على مَن فعل ذلك بالزندقة وأوجبوا قتله إذا لم يُتبْ.

وأصبحت هذه العقيدة عند أهل السنّة والجماعة من صلب الدّين فكلّ من تكلّم أو تعرّض أو إنتقد أو كذّب صحابياً فهو زنديقٌ يسبّ الصّحابة.

وبما أنّ الشّيعة من المسلمين إنتقدوا وأدانوا ما فعله أبوبكر وعمر تجاه فاطمة الزهراء، وما فعله أهل السّقيفة بعلي ابن أبي طالب وما فعله بعض الصّحابة من إنحرافٍ وارتدادٍ عن الإسلام.

وبما أنّ أهل السنّة والجماعة لا يُجيزون ذلك ولا يسْمَحون به أصبح الشّيعة عندهم زنادقة روافض لأنّهم يسبُّون الصّحابة وانتشرت هذه الدّعاية في كلّ وسائل الإعلام بأنّ الشّيعة يسبُّون الصّحابة.

* * *

عدالة كلّ الصّحابة

أمّا نظرية عدالة كلّ الصّحابة فهي باطلة بكلّ المقاييس العقليّة والنّقلية والتّاريخية والفطريّة.

هل لهذه النظرية التعسُّفية وجود في القرآن الكريم والذي هو دُستور المُسلمين والذي سجّل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

ونحن إذا قلنا بأنّ النظرية باطلة لا تنفي عدالة بعضٍ من الصّحابة، إنّما كل الصّحابة فهذا ما لا يُقرّه القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم قسّم الصّحابة إلى عدّة أقسام منها:

أ ـ **القسم الأول**: مؤمنون مخلصون آمنوا بالله ورسوله إيماناً حقيقيّاً فجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وباعوا دنياهم بآخرتهم طمعاً في ما عند الله من الأجر والثواب أولئك ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(1) الأنعام، آية 38.

ب ـ **القسم الثاني**: مُسلمون لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم واعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفورٌ رحيمٌ.

ج ـ **القسم الثالث**: مُسلمون في قلوبهم مرضٌ وقساوةٌ هم للنّفاق أقرب منهم للإيمان، قال الله تعالى في شأنهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1].

د ـ **القسم الرابع**: هم صحابة منافقون لم يدخلوا في الإسلام فضلاً عن الإيمان وهم بكثرة كثيرة، فضحتهم سورة التوبة والتي سمّيت بالبراءة وبالفاضحة وقد أنزل الله تعالى في شأنهم سورة كاملة سُمّيت سورة المنافقون، وقد حذّر الله منهم في العديد من السّور حتّى قال لرسوله الكريم:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[2].

---

(1) المنافقون، الآية: 4.

(2) الأنعام، آية 38.

وأهل السّنة والجماعة وبعد كلّ هذه البيانات في الذكر الحكيم لا يعدّون المُنافقين من الصّحابة وهو أمرٌ غريبٌ جدّاً فكيف يؤولون قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

وفي الإسلام قاعدة حكم البراءة فمن شهد الشهادتين فهو مسلمٌ له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، والله سبحانه أبطل شهادتهم؛ لأنه يعلم ما في قلوبهم إنهم كاذبون، ولكنه لم يبطل صحبتهم له، وكذلك كانت سيرة المصطفى معهم حتّى أنه اشتهر بالعفو عنهم عند إساءتهم ويقول: «أمرت أن أحكم بالظّاهر، والله يتولّى السرائر»، بل سجّل التاريخ أكثر من ذلك وقد تكرّر قول عمر بن الخطاب: «دعني أضرب عنق هذا المنافق» فيقول الرسول: «دعه حتّى لا يتحدّث الناس بأنّ محمّداً يقتل أصحابه».

فالرسول صلى الله عليه وآله يعدُّ المنافقين من أصحابه، وهو خلاف ما يذهب إليه أهل السنّة والجماعة كما قدمنا.

---

(1) المنافقون، آية 1.

وحتّى لا يرْتاب الباحثون فإنّي سوف لا أذكر من القرآن الكريم إلا الآيات التي تخصُّ المؤمنين والتي تثبت بدورها بطلان عقيدة أهل السنّة والجماعة في عدالة كلّ الصّحابة.

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[1].

﴿وَمِنْهُم مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[2].

﴿وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[3].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الْصَّالِحِينَ*فَلَمَّا آتَاهُم مِن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[4].

---

(1) محمّد، آية 16.

(2) التوبة، آية 49.

(3) التوبة، آية 58.

(4) التوبة، آية 75 ـ 77.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ* إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ* وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[4].

---

(1) التوبة، آية 107.

(2) التوبة، آية 61.

(3) التوبة، آية 38 ـ 39.

(4) التوبة، آية 46.

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَيَعْلَمُونَ ﴾[1].

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[2].

والسؤال الذي يُطرح على أهل السنّة والجماعة هو:

هل أنّ هؤلاء الصّحابة الذين ورد ذمّهم في القرآن الكريم هم عدول؟!!

فإن قلتم بأنّهم عدول فقد كذّبتم القرآن ورددتم على الله وهذا كفرٌ صريحٌ وضلالٌ مبين.

وإن قلتم بأنّهم غير عدول فقد أبطلتم نظرية عدالة كلّ الصّحابة ورجعتم إلى ما يقول به إخوانكم من الشّيعة وبالتّالي ليس هو من السبّ في شيء.

وإن أردنا إبطال نظرية عدالة كلّ الصّحابة من السنّة النبويّة فإنّنا سنجد الرسول صلى الله عليه وآله ينفيها نفياً قطعياً؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قد

---

(1) التوبة، آية 93.

(2) الجمعة، آية 11.

أوحى إليه في شأنهم الكثير من الأسرار الغيبية والتي ظهر البعض منها فيما بعدَ رحيلهﷺ إلى الدار الآخرة.

وقد أُحي إليهﷺ قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

وتشير هذه الآية الكريمة إلى الصّحابة الذين سيعيشون بعد وفاته بأنّهم نوعين أغلبم منقلبين والقليل منهم شاكرين.

وقد أوضح النبيﷺ إلى ما ترمزُ به الآية الكريمة في حديث الحوض:

عن سهل بن سعدٍ قال: قال رسول اللهﷺ: «إنّي فرطكم على الحوض مَن مرّ عليَّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحالُ بيني وبينهم فأقول: إنّهم منّي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقولُ سُحقاً سُحقاً لمن غيّر بعدي»[2].

---

(1) آل عمران، آية 144.

(2) رواه البخاري، حديث رقم (6212). ومسلم في صحيحه حديث رقم (2290).

فهذا منافٍ ومناقضٍ لعدالة كلّ الصّحابة وهو صريح بأن المقصود هم أصحاب النبي بدليل قوله صلى الله عليه وآله: «ليردنّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني...».

الحديث الثاني الذي سطّره أهل السنّة والجماعة في صحاحهم وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله:

«لتتبعنُ سُنن من قبلكم شِبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ، حتّى لوْ سلكوا جحر ضَبٍّ لسلكتموه.

قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[1].

وقول الرسول صلى الله عليه وآله: «لتتّبعن» مخاطباً أصحابه مباشرة ولا عبرة بمن تأوّل الحديث على أقوامٍ يأتوا في أزمان متأخّرة على عهده صلى الله عليه وآله فيتبعون اليهود والنصارى. ولو كان ذلك كذلك لوجب أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله:

«سيأتي أقوامٌ من بعدي يتبعون سنن من قبلهم» وبما أنّ النبي لسانه عربي فصيح ومبين جاء خطابه إليهم وليس لأحد غيرهم، فقال: «لتتبعنّ سُنن من قبلكم».

---

(1) صحيح البخاري رقم الحديث (3456)

وتمعّن رعاك الله في قوله: «لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه» فهل بدٌّ لك هذا المعنى بأنّ المقصود غير أصحابه.

الحديث الثالث: قول الرسول ﷺ: «في أصحابي إثني عشر مُنافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط»[1].

فأين عدالة كلّ الصّحابة من هذه الأحاديث يا أولي الألباب؟!!

وماذا يقول أهل السنّة والجماعة في القصّة التي سجّلها المؤرّخون الذين رووا بأن أربعة عشر من الصّحابة تآمروا على قتل النبي ﷺ بعد رجوعه من إحدى الغزوات والتي سجّلها القرآن بشيء من الإيجاز بقوله تعالى:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[2].

---

(1) مسند أحمد عن حذيفة بن اليمانر قم الحديث (22229).

(2) التوبة، آية 74.

والقصّة اشتهرت «بدحرجة الدّباب» والتي علَّم من خلالها رسول الله صلى الله عليه وآله صاحبه حذيفة بن اليمان أسماء المنافقين الأربعة عشر وأمره بعدم كشف أسماءهم حتّى قيل بأنّ عمر بن الخطّاب كان يسألُ زمن خلافته حذيفة: هل سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله من جملة المنافقين؟

وحتّى قيل بأن الصّحابي إذا تُوفّي ولم يصلّي عليه حذيفة بن اليمان عرف بأنّه من المنافقين الذين تآمروا على قتل الرسول صلى الله عليه وآله.

فهل يبقى بعد كلّ هذه الأدلّة الواضحة دليلاً واحداً على عدالة كلّ الصّحابة يا عباد الله؟

ما أظنُّ عاقلاً نزيهاً سيبقى عنده شكٌّ في بطلان هذه النظرية المُزيفة.

وبعد شهادة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وبعد شهادة السنّة النبوية الشريفة التي لا ينطق صاحبها عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى.

إليك شهادة الصّحابة أنفسهم على أكذوبة تلك العدالة المزعومة!

1 ـ روى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: «إنّكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله على الحوض».

قال أنس: فلم نصبر[1].

2 ـ روى العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما، فقلتُ: طوبى لك صحبتَ النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة.

فقال: يا بن أخي إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده[2].

3 ـ روى البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطّاب قال:

لما طُعن عمر بن الخطّاب جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه:

يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحابتهم

---

(1) صحيح البخاري، ج2، ص 135.

(2) صحيح البخاري، ج3، ص 32 باب غزوة الحديبية.

فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون.

قال عمر: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه فإنّما من منَّ الله تعالى منَّ به عليَّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنّما ذاك من منّ الله جلّ ذكره منَّ به عليَّ، وأمّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه[1].

وقد سجّل التاريخ أيضاً قول عمر بن الخطّاب عند احتضاره:

«ليتني كنت كبش أهلي يُسمّنونني ما بدا لهم حتّى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبّون فجعلوا بعضي شواء وقطعوني قديداً ثم أكلوني وأخرجوني عذرة ولم أكن بشراً»[2].

هذا وقد سجّل التاريخ لأبي بكر مثل قول صاحبه عمر:

«قال لمّا نظر أبو بكر إلى طائر على شجرة : طوبى لك يا طائر تأكل الثمر وتقع على الشجر وما من حساب ولا عقاب عليك، لوددتُ أنّي شجرة على جانب الطريق مرّ عليَّ جملٌ فأكلني وأخرجني في بعرة ولم أكن من البشر»[3].

---

(1) صحيح البخارين ج 2، ص 201.

(2) منهاج السنّة لابن تيمية، ج 3، ص 131؛ وحلية الأولياء لأبي نعيم، ج 1، ص 52.

(3) تاريخ الطبري، ص 41؛ كنز العمال، ص 361؛ منهاج السنّة لابن تيمية، ج 3، ص 120.

يا سبحان الله يتمنّى الكافر يوم القيامة أن يكون تُراب، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾[1].

بينما يتمنّى أبو بكر أن يكون بعرة تخرج من الجمل ولا يكون من البشر كما يتمنّى صاحبه عمر أن يكون عذرة ولم يكن بشراً.

تعليق لا بدّ منه

إذا كان الكافر يتمنّى أن يكون تراباً كما سجّل ذلك القرآن الكريم، فالتراب طاهر ومطهّر كما جاء ذلك في السنّة النبوية قوله: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

فالكافر قد تنزل من جنسه الآدمي البشري إلى جنسه الأصلي الأوّلي وهو التراب الذي هو أساس الخلق، قال تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَاب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

أمّا الصّحابيان العظيمان الرّاشدان فيتمنّيان أن يكونان بعرة وعذرة وهما من القذارة والنّجاسة بمكانٍ فهل الكافر أقلّ جرماً

(1) النبأ، آية 40.

(2) آل عمران، آية 59.

وأخفُّ عقاباً من أبي بكر «الصّديق» وعمر «الفاروق» ؟ سؤال مطروح لا يعرف جوابه إلا يوم القيامة.

أمّا شهادة التاريخ فحدّث ولا حرج.

وما فعله الصّحابة تجاه صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله قد يتعدّى الخيال ألم يعصوه في غزوة أحد عندما أمرهم بالثّبات في أماكنهم ولا ينزلوا أبداً من الجبل، ولكنّهم طمعاً في الغنائم الدينوية تركوا مواقعهم فتسبّبوا في هزيمة نكراء وكاد الرسول أن يُقتل وهرب الصّحابة ولم يبق معه إلا نفرٌ قليل.

ألم يعصوه أيضاً في غزوة حُنين التي سجّلها كتاب الله المجيد: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ﴾[1].

يقول البخاري في صحيحه خرج معه إثنا عشر ألف مقاتل ولما بدأت المعركة ولّوا مُدبرين فهربوا ولم يبق مع رسول الله إلا إثنا عشر رجلاً وهذا الحساب يُعطينا واحد من ألف.

كذلك في غزوة الأحزاب التي سُميت بغزوة الخندق والتي سجّلها القرآن الكريم أيضاً في سورة الأحزاب، إذ يقول:

---

(1) التوبة، آية 25.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً* إِذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً*وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[1].

ألم يعصوا أوامره في صلح الحديبية وقام عمر بن الخطّاب يعارضه ويُشكك في نبوته ويسأله: أأنت رسول الله حقّاً؟ ولم يقنع بجواب الرسول له، فيسأل أبا بكر: أهو رسول الله حقّاً؟

وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب: لا زلتُ أتصدّق وأصوم عسى أن يغفر الله لي ما فعلته في صلح الحديبية.

ألم يعصوه في مرضه عندما أمرهم بإحضار الدّواة ليكتب لهم كتاباً يمنعهم من الضّلالة فاتّهموه بالهجر والهذيان وقالوا حسبنا كتاب الله يكفينا. واختلفوا ورفعت أصواتهم حتّى غضب النبيّ وأطردهم من بيته قائلاً: «أخرجوا عنّي لا ينبغي عند النّبي تنزاع».

---

(1) الأحزاب، آية 9 ـ 12.

وسمّاها ابن عباس رزية يوم الخميس وكان كلّما يَرْويها يبكي حتى يبلّ دمعه الحصى.

ألم يعصوه في تأمير أسامة بن زيد على الجيش الذي أراد إرساله إلى مؤتة فطعنوا في تأميره ورفضوا الخروج معه إلى أن اضطرّ رسول الله أن يخطب ويؤكّد بأن أسامة خليقاً بالإمارة قائلاً: «لعن الله مَن تخلّف عن جيش أسامة».

ألم يعصوه في تقديم علي بن أبي طالب وقوله: «مَن كنت مواله فعليٌ مولاه اللهمّ وال من والاه وعادِ مَن عاداه».

ألم يتركوه جثةً لم يهتمّوا بتغسيله وتكفينه ودفنه واشتغلوا في سقيفة بني ساعدة رغبة في الخلافة.

ألم يؤذوه وهو ميّت في بضعته الزهراء التي توفّيت وهي غاضبةٌ عليهم.

ألم يؤذوه في أخيه وابن عمّه علي الذي كادوا يقتلوه لولا صبره وسكوته وتسليمه.

وبعد كلّ هذا تقولون بعدالة الصّحابة أجمعين!!

الخلاصة

بعد كلّ ما قدّمنا من أدلّة واضحة جليّة لم يبق أمامنا إلا الإعتراف بأن الصّحابة هم بشرٌ مثلنا يُصيبون ويُخطئون وأنّ منهم المؤمن الصّادق ومنهم المُنافق والكاذب.

وبما أنّنا لم نرَ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم نسمع منه مباشرةً ومن المفروض علينا أن نتّبع الصّحابة الذين عاصروه وعاشوا صحبته لنصل إلى معرفة الدّين ومقاصد الشّريعة الإسلامية التي نؤمن بها وننتمي إليها، وهذا ما يُوجبه الأمر الواقع علينا .

إلا أنّنا لم نجد هؤلاء الذين صاحبوه وعاشروه وتعلّموا منه واستمعوا إلى أوامره ونواهيه وأحاديثه، لم نجدهم مُتفقون على شيء.

بل وجدناهم يختلفون في كلّ شيء فمنهم من يروي حديثاً ومنهم من يروي نقيضه وعكسه، ودع عنك من يقول: إختلفوا في الفُروع لا في الأصول، ولو كان الأمر كذلك لما كفّر بعضهم بعضاً ووصل الأمر بهم إلى قتل بعضهم بعضاً ويكفي ما سجّله التاريخ من حرب الجمل وحرب صفّين وحرب النّهروان وكلّها دارت بين الصّحابة وقُتل فيها آلاف من الصّحابة فيهم المخلصون وفيهم

الباغون الظّالمون وهم الذين فرّقوا دينهم وكان شِيَعاً كلّ حزب بما لديهم فرحون، وهم الذين كانوا سبباً رئيسياً في نشأة المذاهب المتعدّدة من سنّة وشيعة ثم تعدّدت بعد ذلك السنّة إلى مذاهب أربعة معترف بها والشيعة أيضاً إلى مذاهب ثلاثة معترف بها إلى مذاهب أخرى لا حصر لها حتّى قال بعضهم إنقسم الإسلام إلى ثلاث وسبعين مذهباً.

وما دام الأمر كذلك كيف سيعرف المسلم المعاصر مَن هو الصحيح من كلّ هذه المذاهب، كيف سيعرف من هو المحقُّ ومَن هو الباطل؟!!

إذن الحلُّ الممكن والأقرب للعاقل هو معرفة الصّحابة ودراسة ما وصل إلينا من أخبارهم وأفعالهم وأقوالهم ومواقفهم كي نتمكن من الوصول إلى معرفة الحقّ من الباطل والصادق من الكاذب، ولابدّ للباحث أن يتجرّد من عاطفته ومن عصبيته وأنانيته ومذهبه.

ولكن إخواننا من أهل السنّة والجماعة يقطعون علينا هذا الطّريق ويمنعوننا من البحث والتحقيق بدعوى سبّ الصّحابة ويضعون أمامنا خطاً أحمر إشارة إلى منع المرور، لأنّ عقيدتهم في الصّحابة تنزيه وتقديس فيمنعون بذلك التكلّم عنهم والخوض في

ما شجر بينهم فضلاً عن إنتقادهم أو إدانتهم أو حتّى تحميلهم المسؤولية وهو كما نرى جمود فكري وتعصّب أعمى لا يقدّم للعلم حجّة ولا معرفة ولا تقدّماً.

منشأ هذه العقيدة

لا أشكّ ولا أرتاب في أنّ بني أميّة وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان هم مؤسّسي هذه العقيدة الزائفة؛ ولأنّ معاوية ويزيد وكلّ حكّام بني أميّة كانوا من الطلقاء الظّالمين لمحمّد وآل محمّد وكانوا مستبدّين مُستكبرين، وكان الفساد من شيمتهم ومن يقرأ تاريخ المسلمين سيعرف ما وصلت إليه حالة المسلمين في عهدهم من إستبداد وظلم وجور وفساد وانحراف عن الدّين ويكفي أنّ سيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين قُتلا بأيديهم وسبيت حرائر أهل بيت المصطفى إلى أعمال أخرى يتنزّه القلم عن ذكرها.

ولتغطية أفعالهم الشنيعة وأعمالهم القبيحة إستأجروا بعضاً من الصّحابة الذين استهوتهم الدنيا وذهبها وفضّتها والتقرّب من ملوكها وحكّامها وأوعزوا إليهم أن يرووا عن رسول الله أحاديث مكذوبة

في فضل الصّحابة وخصائصهم وأنّهم أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبما أنّ كلّ حكّام بني أميّة أو جّلهم كانوا من الصّحابة، فكلّ حديث في مدح الصّحابة وتنزيههم هو بمثابة حصانة دبلوماسية لبني أميّة ودولتهم فلا يمكن لأحدٍ بعد تلك الأحاديث التي نُسبت للرسول صلى الله عليه وآله أن يتكلّم أو ينتقد أو يعترض على فعلٍ أو قولٍ لأحد الخلفاء الذين حكموا المسلمين باسم أمير المؤمنين ومنهم يزيد الفاسق فكان من الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أصحابي كالنّجوم بأيهم إقتديتم إهتديتُم».

«مَن سبّ أصحابي فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله».

«لا تسبّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه».

«خير القرون قرني ثم الذي بعده».

وهذه الأحاديث كلّها مكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله فكيف يقول: خير القرون قرني وفي قرنه وقعت كلّ حروب المسلمين وهل الحروب هي خير من السلم؟!!

المهم أن بني أميّة وضعوا هذه الأحاديث لشرعنة فسادهم وأعمالهم وجرائمهم، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً إذ أن أغلب المسلمين أصبحوا يعتقدون ما أراد لهم بنو أميّة.

ولنا أن نربط الخيوط ببعضها لنكتشف بأنّ أهل السنّة والجماعة هم أتباع معاوية وحكومته إذ أن العام الذي أعتلى فيه معاوية منبر الخلافة سُمّي عام الجماعة وليس من قبيل الصدفة أنّ أهل السنّة والجماعة يحرزون هذا اللقب بعد وصول معاوية للخلافة إلا إذا كانوا يقصدون بالسنّة هي سنّة معاوية التي سنّها في سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والتي دامت طيلة حكم بني أميّة.

ونستنتج من كلّ ما سبق ذكره بأن الحكومة الأموية هي التي أكسبت كلّ الصّحابة هذه الحصانة والهالة القدسية لكي تحصّن نفسها من النقد والإدانة فيصبح بعد ذلك معاوية هو الصحابي الجليل خال المؤمنين وكاتب الوحي الإلهي ويُصبح ابنه يزيد المشهور بالفِسق والفجور أميراً للمؤمنين ويخرج علينا في هذا العصر عالم كويتي يمثّل أهل السنّة والجماعة بكتابٍ كتبه تحت عنوان:

(خروج الحسين ابن علي على أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) سبّب مفسدة كبرى في الإسلام.

وكتب عالم آخر: «**تعدّى الحسين حدّه فقُتبل بسيف جدّه**» لك الله يا دنيا كيف قلبت الأمور فأصبح الحقّ باطلاً والباطل حقّاً: أصبح يزيد الخمور والمجون مُلاعب القرود أميراً للمؤمنين وأصبح سبط المصطفى سيّد شباب أهل الجنّة خارجياً يستحلُّ قتله، لك الله يا دنيا مرّة أخرى كيف قلبت الحقائق فأصبح من يتّبع سنّة معاوية وبني أميّة هم أهل السنّة والجماعة وأصبح مّن يتّبع سنّة الرسول من طريق وصيّه هم الشيعة الزّنادقة الرّافضة الذين تُباح دماؤهم لأنّهم يسبّون الصّحابة فكم من باحث منصف تناول في كتبه أو في خطبه معاوية بالنقد فحكم عليه بالسّجن وأطرد من عمله وضُيّق عليه معاشه أمّا لو تكلّم أحدٌ في أبي بكر وعمر فمصيره الإعدام!!

وختاماً أقول لأخواني من أهل السنّة والجماعة هوّنوا على أنفسكم واتّقوا الله في إخوانكم الذين يبحثون عن الحقّ فإن كانوا مُصيبين نسأل الله أن يهديهم صراطه المستقيم، وإن كانوا مُخطئين سيُحاسبهم الله سبحانه الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فإذا كان الكلام في الصّحابة عندكم غير جائز لأنه يعدّ من السبّ فإن الله ربّ العزة والجلالة قد سبّهم في العديد من سور القرآن الكريم وفضح أعمالهم وأقوالهم وتوعدهم بالنّار وبئس القرار[1].

وكذلك كان موقف رسول الله صلى الله عليه وآله منهم فقد كشف نفاقهم وحذّر منهم ودعا عليهم بقوله: «سُحقاً سُحقاً لمن بدّل بعدي» وغضب عليهم في آخر أيّامه وطردهم من حجرته ولعن المتخلّفين عن جيش أسامة من الذين عيّنهم ليكونوا تحت قيادته[2].

وكذلك فعل المؤرّخون المُنصفون الذين ذكروا مخالفاتهم وانحرافاتهم ومؤامراتهم لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وما فعلوه بعد وفاته مع عترته الطّاهرة والحروب التي شنّوها على وصيّه ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى[3].

فما عليكم يا إخواننا في الدّين إلا المصالحة مع إخوانكم الشّيعة الذين لا يختلفون معكم في شيء ما عدا الإمامة. وكلمة

---

(1) المقصود: بعض الصّحابة ليس كلّ الصّحابة وبعضهم رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم.

(2)

(3).

المودّة واتّباع للعترة النبويّة الطّاهرة هي أمل كلّ المسلمين بدون إستثناء.

أمّا إثارة النّعرات الجاهلية بتحريك العواطف والمشاعر وتمزيق وحدة المسلمين وضرب بعضهم ببعض بإشاعة أنّ الشيعة يسبّون الصّحابة زوراً وبهتاناً لإسقاطهم والتنكيل بهم فهذا محرّم على مسلم يخاف الله ربّ العالمين ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[1].

ومرّة أخرى وأخيرة نقول بأنّ البحث العلمي والتحقيق هو ضالّة كلّ مؤمن يُريد الوصول إلى الحقيقة الضائعة بل هو واجبٌ شرعي قد يحاسب المسلم على تركه لأنّه فرضٌ عيني وقد ورد في هذا المعنى عدّة أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وآله تحثُّ المسلم على البحث والتمحيص كقوله: «إبحث عن دينك حتّى يقال عنك مجنون».

وفي ختام هذا البحث العلمي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا جميعاً لما يحبّه ويرضاه ويهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم ويجعلنا من أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين ويحشرنا جميعاً معه يوم الدّين.

* * *

(1) النّور، آية 15.

التقيّة

وممّا يُشنّع به أهل السنّة والجماعة على إخوانهم الشّيعة قولهم بالتّقية والتي يعدّونها ضرباً من النّفاق وإذا سألت أحداً من أهل السنّة والجماعة عن الشّيعة سيقول: إنّهم مُنافقون لأنّهم يقولون بألسنتهم ما لا يعتقدون بقلوبهم.

وهي مغالطة كبرى ورجماً بالغيب.

فكلّ إنسان قد يقول بلسانه ما لا يعتقده بقلبه وهو في أعلى درجات الإيمان ؛ لأن التّقية هي عكس النّفاق تماماً وكمالاً؛ لأن النّفاق ظاهره إيمان وباطنه كفر، بينما التّقية ظاهرها كفرٌ وباطنها إيمان.

وأضرب لذلك مثلاً:

لو كان قلبي كلّه مشبّع بالإيمان ولساني ينطق كفراً وإلحاداً فلا يضرّني ذلك شيئاً وإليك الدّليل من القرآن الكريم الذي لا ريب فيه، قال تعالى:

﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلكِن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ولا أحد غيره يعلم ما تُخفيه القلوب لذلك سيُحاسب خلقه على خفايا القلوب ولا يُحاسبهم على ما أكرهوا عليه طائعين، قال تعالى:

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ* إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

فسلامة القلب ليست في شكله وحجمه وقوّة ضخّه للدم وإنّما سلامته في إيمانه وعقيدته في الله سبحانه وتعالى فمن جاء يوم القيامة بقلبٍ مليء بالإيمان مليءٍ بالخشوع والتسليم مليء بالمحبّة لله سبحانه فهو قلبٌ سليم ينفع صاحبه فيدخله إلى الجنّة ذلك الفوز العظيم.

أمّا مَن جاء يوم القيامة بقلبٍ مليء بالكفر والنّفاق مليء بالغش والمكر والخداع، فهو قلبٌ سقيم لا ينفع صاحبه شيئاً فيقذف في نار جنّهم ذلك الخسران المبين.

---

(1) البقرة، آية 225.

(2) الشعراء، آية 88 ـ 89.

وقد يكون قلب المؤمن المخلِص لله تعالى مريضاً عضوياً وقد يموت بسكتة قلبية لضعف عضلاته. وقد يكون قلب الكافر الملحد المعادي لله ورسوله قويّاً عضوياً وليس به مرض يسقطه.

فقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ هو تعبير مجازي على سلامة القلب من الكفر والنّفاق والمكر والغشّ والخداع وليس معناه سليماً من الأمراض ولذلك قسّم الأمراض إلى نوعين : أمراض جسدية وأمراض نفسية.

أمّا الأمراض الجسدية فيمكن معالجتها بالأدوية والأعشاب وغير ذلك. ويمكن للمريض أن يذهب إلى الطبيب أو الصيدلي ويطلب أقراص لوجع رأسه أو معدته أو مفاصله.

أمّا الأمراض النفسيّة كالحسد والأنانية والنّميمة والخداع والغدر وغير ذلك لا يوجد لها أدوية غير الإيمان والتّقوى والثّقة بالله سبحانه والاتّكال عليه وإطاعة أوامره ونواهيه فهو العلاج الوحيد للأمراض النّفسية التي تُطهر القلب من الأدران.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال: «ألا إنّ في الجسد مُضعة إنْ صلحتْ صلح الجسد كلّه وإن فسدتْ فسد الجسد كله ألا هو القلب».

وبالرجوع إلى بحث النّفاق والتّقية فقد وضعتُ لذلك معادلة لتوضيح الأمر بينهما فقلت:

إيمان «ظاهر» + كفر باطنٌ = نفاقٌ

إيمان «باطن» +كفر ظاهر = تقية

إليكم معادلة ثانية ليستيقن قلبك ويطمئن :

لسان «كافر» + قلب مؤمن = تقيّة

لسان «مؤمن» + قلب كافر = نفاق

وهي المعادلة التي أقرّها الرّسول صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر التي عذّبته قريش وقتلت أباه وأمّه أمام عينيه فلم يتحمّل فكفر بلسانه وأعطى لقريش ما أرادت من تعظيم هُبل والنيل من محمّد ودينه.

جاءه النّبي صلى الله عليه وآله فوجده يبكي ويقول: ما تركتني قريش حتّى نلتُ منك يارسول الله! فقال له الرسول: «كيف تجدُ قلبك يا عمّار؟» فقال: مطمئن بالإيمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن عادوا فعُدْ».

أي إن عاودوا تعذيبك فعد للنيل منّي واذكر آلهتم بخير. وهو إقرار لهذه المعادلة التي وضعتُها فلسان عمّار كفر بمحمّد وربّ محمّد ولكن قلبه مليء بالإيمان مليءٌ بدين محمّد وربّ محمّد فلو

مات عمّار ابن ياسر تحت التعذيب وقد قال ما قال فإن الله سبحانه سيدخله الجنّة مع النّبيين والشهداء والصالحين لأنّ قلبه سليم.

ثم بعد كلّ هذا البيان أليست التّقية هي من شرع الله الذي أباحه في محكم كتابه لكلّ المسلمين الذين لا يتحمّلون ألم التعذيب أو الذين يريدون الحياة لصالح الإسلام، فقد مات ياسر وزوجته سميّة تحت التعذيب ونالا بذلك الشهدة وقد بشّرهما رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنّة فقال: «إبشروا آل ياسر أن موعدكم الجنّة» ولكن الإسلام والمسلمين لم يستفيدوا من شهادة ياسر وسميّة شيئاً كما استفادوا من ولدهما عمّار الذي إستعمل التّقية وكفر بلسانه وقلبه مُطمئن بالإيمان وعاش بعد هذه الحادثة أكثر من خمسين عاماً قضاها في خدمة نبي الإسلام وخدمة المسلمين ويكفيه شرفاً وسام الرسول له عندما بشّره بالشهادة على يد الفئة الباغية بقوله: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار»[1].

ويكفي عمّار وقوفه يُحارب الفئة الباغية وقد نيف عمره على التسعين واستشهد في تلك المعرفة وهي حرب التي جمعت جيش معاوية وجيش علي.

---

(1) حديث مشهور أخرجه الصحاح والمؤرخين.

والعودة إلى شريعة الله في التّقية نجد القرآن الكريم يذكر التّقية بوضوح وصراحة فائقة، يقول سبحانه وتعالى في سورة النّحل:

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّه مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّـهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وهذه الآية تصوّر لنا بالضّبط موقف سيّدنا عمّار بن ياسر رضي الله عنه الذي أُكره على الكفر بعد إيمانه بالله ولكن قلبه بقي مطمئن بالإيمان.

والله سبحانه وتعالى يتوعّد فقط من شرح صدره للكفر واطمأن به بالعذاب العظيم وهو تأكيد على أهميّة القلب ودوره في جسم الإنسان.

آية أخرى في سورة آل عمران تبيح للمسلمين إستعمال التّقية: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

---

(1) التّوبة، آية 106.

(2) آل عمران، آية 28.

وبهذه الآية أباح الله سبحانه للمسلم أن يتّخذ الكافر وليّاً له إذا خاف على نفسه وقوله سبحانه : ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ معناه إذا خفتم فاستعملوا معهم التّقية.

بل يذهب القرآن أكثر من ذلك إذ يمدح مَن يستعمل التّقية، قال سبحانه في سورة غافر:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[1].

وقوله : ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ يدلّ على أن هذا المؤمن كان يستعمل التّقية طيلة حياته فظاهره على دين فرعون وباطنه مؤمن بالله الواحد الأحد.

ويبدو أنّ هناك مؤمن آخر كان يكتم إيمانه على فرعون وهو الذي عرف من خلال قربه من السّلطة بأنّ قوم فرعون تآمروا على قتل موسى فاتّصل به سرّاً وأعلمه بالمؤامرة ونصحه بالهروب من مصر.

---

(1) غافر، آية 28.

جاء في سورة القصص قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ اقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[1]. ولو علم فرعون وملأه بهذا الرجل الذي أنقذ موسى عليه السلام لقتلوه يقيناً.

وهناك في القرآن قصّة أخرى لمؤمن آل يس الذي كشف عن نفسه بعد إستعمال التّقية فكان نصيبه القتل:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ* اتَّبِعُوا مَن لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[2].

ويبدو أنّ قومه إستغربوا منه كلامه واكتشفوا أنّه مؤمنٌ.

فسألوه: هل أنتّ على دينهم؟ فقال:

﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[3]، ثم التفت إلى المرسلين فقال لهم: إنّي آمنت بربّكم فاسْمعون عند ذلك قتله قومه فمات شهيداً.

---

(1) القصص، آية 20.

(2) يس، الآية 20 ـ 21

(3) يس، آية 22 ـ 24.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[1].

وانتقم الله من قومه فقتلهم جميعاً ثأراً له، قال تعالى:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ* إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[2].

التّقية في السنّة النّبوية

إنّ قول أهل السنّة والجماعة بأنّ الشّيعة مُنافقون لأنّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم هو كلام باطل وقد أثبتنا ذلك في الأبحاث السابقة ونثبته في الأبحاث اللاحقة عندما نوضّح ما جاء في السنّة النبوية الشريفة وأنّ الرسول نفسه إستعملها إذا قال بلسانه ما ليس في قلبه ولم يسم المسلمين ذلك نفاقاً، بل سمّوه المداراة مع النّاس وقد أخرج البخاري ومسلم باباً كاملاً في المداراة مع النّاس.

وقد جاء في صحيح البخاري، عن أبي الدرداء قال:

«إنّا لنكشّر في وجوه أقوام، وأن قلوبنا لتلعنهم».

---

(1) يس، آية 26 ـ 27.

(2) يس، آية 28ـ 29.

فكيف تضحك في وجه إنسان وتُريه الفرحة بأنّك تحبّه ولكن قلبك يلعنه في الدّاخل.

أخرج البخاري في صحيحه قال: «حدثنا قُتيبة بن سعد، حدثنا سفيان عن عروة بن الزبير أن عائشة أخبرته؛ إنّه استأذن على النّبي صلى الله عليه وآله رجلٌ فقال: إذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلمّا دخل آلان له الكلام، فقلت يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنتَ له في القول؟

فقال: أي عائشة إنّ شرّ النّاس منزلة عند الله من تركه أو ودعه النّاس إتّقاء فحشه»[1].

فهذه الرّواية من صحيح البخاري تبطل دعوى أهل السنّة والجماعة في قولهم من قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو منافق.

وإلا كان الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الرواية منافقاً ـ والعياذ بالله ـ لأنّه قال بلسانه ما ليس في قلبه حتّى أن عائشة إستغربت منه هذا الموقف الذي يبدو غريباً فكيف يشتمه بقوله بئس أخو العشيرة ثم يفرح به ويلين له في الكلام!!

---

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 5780.

ونستخلص من كلّ ما سبق من أنّ التّقية ليست ضرباً من النّفاق كما يعتقد أخواننا من أهل السنّة والجماعة.

كما تُبطل هذه الرّواية النبوية دعوى مَن يقول بأنّ التّقية لا تجوز إلا مع الكفّار والمشركين.

فالرجل الذي إستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن كافراً ولا مُشركاً وإنّما كان من المسلمين ومن الصّحابة؛ لأنّ الرسول يعرفه حقّ المعرفة وإلا كيف يقول عنه : «إذنوا له بئس أخو العشيرة» .

كما تبطل هذه الرّواية النّبوية دعوى مَن يقول بأنّ التّقية لا تجوز إلا في حالة الخوف من القتل.

فالرسول صلى الله عليه وآله لم يكن يخاف على نفسه من القتل كيف وقد وقعت الحادثة في المدينة المنوّرة بعدما أصبح الإسلام قويّاً عزيزاً وأصبح الرسول رئيساً لدولة عظيمة وقد تزوّج عائشة وهي التي نقلت هذه الرّواية.

والمفهوم من كلّ ما تقدّم أنّ التّقية رخصة من عند الله لعباده وهي رحمة لهم لكي لا يقعوا في الحرج الذي يُنفّر النّفوس البشرية؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1].

---

(1) الحج، آية 78.

وقد يضطر الإنسان في بعض الحالات أن يستعمل التّقية مع أقرب النّاس إليه مع أبيه أو أخيه أو زوجته لدفع الضّرر.

كان لي صديق وزميل في سلك التعليم متزوّج من عشر سنين زوجته عاقر وأصيبت بالمرض الخبيث فأصبحت طريحة الفراش وعاجزة عن العمل وتعب الزوج من العلاج والأدوية والمصاريف وبالأخير اضطرّ للزواج العرفي السّري؛ لأنّه حسب ما يقول لا يريد الدخول في الحرام فوجد امرأة أرملة آوَتْهُ في بيتها وأعانته ماديّاً واحترمت أوقاته فلم تفرض عليه المبيت في بيتها فأحسّ بالسّعادة معها وبعد شهرين من زواجه وصلت الوشاية للزوجة المريضة فسألته فأنكر وحلّفته فحلف.

مع العلم بأنّ هذا الصّديق هو من أهل السنّة والجماعة من المذهب المالكي ولا يعرف من التّقية شيئاً.

سألته كيف تحلف لزوجتك وأنت تعرف أنّك كاذب؟ قال: خفت عليها الموت لأنّها مريضة وحسّاسة جدّاً، ثانياً خفت أن ترفع ضدّي قضية فأدخل السجن ويضيع كلّ شيء لأنك تعلم أن القانون التّونسي يمنع الزّواج الثاني.

قلت: ماذا تفعل بالقسم الذي حلّفتك به؟

قال: عندنا في المالكية كفارته صيام ثلاثة أيّام أو إطعام عشرة مساكين، والحمد لله أنّي قادر على ذلك.

فكّرت مليّاً في أقواله وما كان منّي إلا أن مددتُ له يدي مُصافحاً وقلت الحمد لله الذي أنقذك من هذه الورطة!!

ولو تتبّعنا مشاكل النّاس التي تواجههم في حياتهم الزوجية والاجتماعية لوجدنا آلاف القضايا التي يستعمل فيها التّقية في كلّ يوم وفي كلّ ساعة وهم لا يشعرون.

إليك قصّة أخرى سمعتها من إمام المسجد الذي كان يصلّي بالنّاس الصّلوات الخمس وهو من السّلفية يحفظ القرآن وكثير من الأحاديث النّبوية.

إبنه الأكبر عمره عشرون عاماً، لم ينجح في الباكلوريا وبقي بطّال بدون عملٍ، إسمه عادل.

فكّر عادل أخيراً في الحرقة[1] وبدأ يجمع شيئاً من المال ثمن العبور من تونس إلى إيطاليا سرّيّاً.

---

(1) الحرقة: تعني الشباب العاطلين يفكرون في الهروب من بلادهم إلى أوربا عن طريق البحر، وهي هجرة غير شرعية وغير قانونية وقد مات الكثير منهم غرقاً.

وكانت أمّه تحنو عليه كثيراً فكلّما وقعت في يدها صُبابة من المال تسلّمها له فكان عادل يتأهّب للهروب بدون إذن أبيه إمام المسجد.

وجاء أحد المُصلين وأخبر الوالد بما قرّره الوليد وفكّر الإمام مليّاً وكان رجلاً عاقلاً حكيماً وهو يعلم بأنّ إبنه عادل تشدّه العاطفة إلى والدته فقرّر أن يجمع زوجته مع ولدها عادل بعد صلاة الجمعة وهدّدهما إذا هرب عادل من تونس فإنه سيطلّقها ويتزوّج غيرها، وارتمت الأمّ في حضن ولدها تبكي وتترجّاه أن لا يحرق ويسبّب في خراب البيت بكامله، وتراجع عادل عن السّفر لشدّة حبّه لوالدته.

سألت الإمام: أكنت تُطَلّقُ زوجتك إذا هرب عادل؟

قال: كيف أظلم زوجتي وأنا إمام أعلّم النّاس بأنّ الظلم حرام لكني هدّدت بلساني فقط، والله يقول: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾[1].

---

(1) البقرة، آية 225.

وعندي قصص كثيرة في هذا المعنى ولكن أكتفي بما قدّمته ليعرف إخواننا من أهل السنّة والجماعة أنّ التّقية هي العُملة الرّائجة في عصرنا الحاضر.

التّقية عند أهل السنّة والجماعة

كانت دعوة الرّسول صلى الله عليه وآله في البداية سرّية للغاية ودامت أكثر من ثلاث سنوات، حتّى نزول الآية الكريمة:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وبالتأكيد أنّ المسلمين الأوائل كانوا يستعملون التّقية وإلا ما وصلت الدّعوة إلى ذلك العدد الهائل من المؤمنين.

وليعلم أهل السنّة والجماعة بأنّ التّقية جائزة عند جميع المسلمين سُنّة وشيعة.

فهذا إمام أهل السنّة والجماعة القرطبي المالكي يقول في كتابه الجامع لأحكام القرآن:

أجمع أهل العلم على أنّ مَن أكره على الكفر حتّى خشي على نفسه القتل أنّه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان.

---

(1) الحجر، آية 94.

وهذا إبن حجر العسقلاني[1] وكذلك ابن كثير الشافعي[2] يقولان بجواز التّقية.

كذلك الإمام مالك في المدونة الكبرى[3].

يقول بعدم وقوع طلاق المكره على نحو التّقية ويحتجّ بذلك بقول الصحابي ابن مسعود.

واشتهر عن ابن مسعود قوله:

«ما من كلام يدْرأُ عنّي سَوْطين من سلطان إلا كنتُ متكلّماً به».

ومعنى هذا أنّ الصحابي الجليل ابن مسعود كان يرى التّقية ضرورة إذا دَرَأتْ عنه سَوْطين فقط.

كذلك ابن عبد البرّ المالكي في كتابه : (الكافي في فقه أهل المدينة) في صفحه **503** حيث أفتى بعدم وقوع عتق أو طلاق تحت الإكراه، فلو كانت التّقية لا تجوز في العتق والطلاق عند الإكراه من ظالم لهما لقال بوقوعهما.

وهذا ابن العربي في أحكام القرآن (ج**3**، ص **1177**).

---

(1) في فتح الباري، ج 1، ص 264.

(2) تفسير ابن كثير، ج 2، ص 609.

(3) المدونة الكبرى، ج 3، ص 29.

وكذلك ابن حيان الأندلسي في البحر المحيط (ج2، ص424).

ابن نجيم الحنفي في كتاب الإشتباه والنظائر (ص 89).

الرازي فخر الدين : في التفسير الكبير (ج20، ص 21).

الإمام النّووي في كتاب مجموع شرح المهذب (ج18، ص3).

ابن قدامة الحنبلي في كتاب المغني (ج8، ص 262).

وغير هؤلاء كثير من علماء أهل السنّة والجماعة.

وقد كتب أحد العلماء المحقّقين كتاباً في التّقية أثبت فيه بأنّ علماء السنّة عندهم أحاديث التّقية أكثر ممّا عند الشّيعة ومع كلّ ذلك يبقى بعض أهل السنّة والجماعة يُعيبون على الشّيعة لقولهم بجواز التّقية.

لماذا اشتهر الشّيعة بالتّقية خلاف أهل السنّة والجماعة؟

من درس التأريخ وتدبّره سيعرف الأسباب التي ألجأت الشّيعة لإستعمال التّقية بينما لم يكن عند أهل السّنة والجماعة ضرورة للجوء إليها.

نعم هذه حقيقةٌ يُثبتها تأريخ المسلمين جميعاً عندما تقرأ في التاريخ بأنّ معاوية بن أبي سفيان بعث بسر بن أرطاة ومعه جيش كثيف إلى اليمن وأمره يقتل كلّ من كان في طاعة الإمام علي فقتل خلقاً كثيراً.

قال ابن أبي الحديد: دعا معاوية بسر بن أبي أرطاة وكان قاسي القلب فظّاً سفّاكاً للدماء لا رأفة في قلبه ولا رحمة وأمره ان يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكّة حتّى ينتهي إلى اليمن وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتّى يروا أن لا نجاة لهم وأنّك مُحيط بهم وادعهم إلى بيعتي فمن رفض فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا.

وشنّ معاوية عديد الغارات على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام سنّة 39 للهجرة وفرّق جيوشه في أصقاع حكومته واختار أناساً ممّن لا خلاق لهم لقتل أولئك الأبرياء أينما كانوا وحيث ما وُجدوا فقتلوا النساء والأطفال وأحرقوا الديار والبيوت.

كما ذكر المؤرّخون أنّه ـ أي معاوية بن أبي سفيان ـ لما إستولى على الحكم وبايعه النّاس ومن أبى قتله عند ذلك بعث

بمرسوم إلى كلّ عمّاله أن اقتلوا كلّ من يتشيّع لعلي وهدموا داره عليه واسْبوا عياله.

وسنّ معاوية سنته المشؤومة في سبّ ولعن علي بن أبي طالب من فوق المنابر وبعد كلّ صلاة ودامت هذه السنّة سبعين عاماً حتّى أبطلها عمر بن عبدالعزيز

وهكذا كان علي أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وإمام المتّقين يُسبّ ويُعلن فوق المنابر في كلّ أصقاع البلاد الإسلامية فلا تسأل عن شيعته ومُحبّيه الذين كانوا يقتلون على الظنّ وعلى التّهمة وكان الواحد منهم يتمنّى أن يقال عنه يهودي ولا يقال بأنّه شيعي.

لكلّ ذلك اضطرّ الشّيعة إلى التّقية ليمنعوا أنفسهم وأطفالهم من القتل والتنكيل.

أمّا أهل السنّة والجماعة فكانوا في مأمن ؛ لأنّهم بايعوا معاوية فأعطاهم معاوية الجوائز وولاّهم المناصب وقرّبهم إليه حتّى وافقوه على ولاية العهد لإبنه يزيد الفاسق وأعانوه على تصفية مُعارضيه.

وتجدهم إلى يومنا هذا يترضّون على معاوية ويلقبّونه بخال المؤمنين وكاتب الوحي وأمير المؤمنين ولا يسمحون لأحد أن ينتقد أفعاله وقد حكموا بالسّجن على بعض الباحثين؛ لأنّه ذكر

بعض المثالب لمعاوية مع أنّ تلك المثالب والجرائم التي إرتكبها مدوّنة كلّها في كتب التاريخ.

ولكنّ أهل السنّة والجماعة لا يريدون قراءة التاريخ بل ويمنعون النّاس من قراءته بدعوى إحترام الصّحابة وقد وضعوا لذلك حديثاً نسبوه للرسول صلى الله عليه وآله يقول: «وما يدريك لعلّ الله إطّلع على أصحاب بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

لكلّ ذلك إتّبع أهل السنّة والجماعة ما سطّرته الدّولة الأموية من عقائد وأحاديث وورثوا بغض وكره وعداوة الشّيعة من كره معاوية لعلي وشيعته.

إنّ أهل السنّة والجماعة يُمثلون على مرّ العصور الحكومات المتتالية من عهد أبي بكر إلى يومنا هذا.

أمّا الشيعة فيمثلون المعارضة من عهد أبي بكر وإلى يومنا هذا؛ لأنّهم لم يقبلوا بالخلفاء الثّلاثة فلقّبهم أهل السنّة والجماعة بالرّافضة.

وبقيت الشّيعة مستهدفة أمنيّاً ومعنويّاً وهذا ما اضطرّ الشّيعة لإستعمال التّقية حتّى مع إخوانهم السنّة.

* * *

نكاح المتعة (الزواج المؤقّت)

كثر الحديث في السّنوات الأخيرة عن زواج المتعة الذي إذا ذُكر فإنّه سيكون مقروناً بالشّيعة والتشيّع .

أقول والتشيّع وأنا أعي ما أقول ؛ لأنّ كثير من أهل السنّة والجماعة عندما تقول أمامهم إنّ كثير من شباب أهل السنّة تحوّلوا في عقيدتهم إلى الشّيعة..

يقولون لك لأنّ الشّيعة يُرغّبون الشّباب بزواج المتعة ويحلّلون لهم الزّنا المقنّن.

هذا ما يدّعيه أهل السنّة والجماعة ـ سامحهم الله ـ لأنّهم بهذا الكلام يتّهمون ربّ العزّة والجلالة بأنّه حلّل الزّنا في القرآن الكريم.

ولأنّ أهل السنّة والجماعة مُتّفقون مع إخوانهم الشّيعة بأنّ آية المتعة نزلت في القرآن الكريم في سورة النّساء واتّفق علماء الطرفين بأنّ الآية الكريمة:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّه عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَا وَرَاءَ ذلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[1].

إذا لم يختلف علماء أهل السنّة وعلماء الشّيعة في نزول الآية لتحليل زواج المتعة كما لم يختلف علماء الطرفين في أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله أباح لأصحابه أن يتمتّعوا بهذا الزواج المؤقت في بعض الغزوات، هذا لا يشكّ فيه أحد وقد أخرجه البخاري ومسلم وغيرهم من علماء أهل السنّة والجماعة كما أخرجه علماء الشّيعة في كتبهم ومسانيدهم.

لكنّهم إختلفوا في نسخها وتحريمها فقال السنّة بأنّها حُرّمت إلى يوم القيامة.

وقال الشّيعة بأنّها حلال إلى يوم القيامة.

ثم إختلفوا في الشخص الذي نسخها وحرّمها .

فقال أهل السنّة والجماعة بأنّ رسول الله هو الذي حرّمها.

وقال الشّيعة بأنّ عمر بن الخطّاب هو الذي حرّمها ونهى عنها.

---

(1) النساء، آية 24.

ونحن سنتجرّد من العاطفة والتعصّب للمذهب ونُناقش قول أهل السنّة والجماعة بأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله هو الذي حرّمها ؛ وأوّل سؤال يُطرح في هذا الصّدد: هل يجوز للرّسول صلى الله عليه وآله أن يُحرّم ما أحلّه الله؟!!

كلا وألف كلا؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى هدّده بقوله:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

وليس هناك أبلغ من هذه الآية في الشدّة والتحذير بل والتّهديد بأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله ما هو إلا عبدٌ مأمورٌ ينفّذ أوامر الله سبحانه ونواهيه وليس من حقّه أن يُحرّم أو يحلّل كيف ما شاء إنّما يتّبع ما يُوحى إليه بدون زيادة ولا نقصان.

هاك دليلٌ آخر على ما نذهب إليه:

أراد قومه من قريش أن يجرّوه إلى تغيير وتبديل الأحكام التي كانوا يرون فيها شدّة وصعوبة عليهم فقالوا له: بدّل هذه الأحكام بأخرى تقبلها أنفسنا ونرتاح إليها فجاء الردُّ سريعاً من عند الله سبحانه وتعالى بقوله:

---

(1) الحاقّة،آية 44 ـ 47.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآن غَيْرِ هذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَايَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْم عَظِيم﴾[1].

فإذا كان هذا حُكم الله سبحانه تجاه رسوله الكريم فكيف يقول أهل السّنة والجماعة بأنّ الله سبحانه وتعالى حلّل نكاح المتعة في القرآن الكريم والرّسول حرّم هذا النكاح إلى يوم القيامة؟!!!

نعم أنا أعرف أنّ بعض أهل السّنة والجماعة يقولون بأنّ السّنة النّبوية قاضية على القرآن.

وهذا الكلام لا يقبل عند العقلاء، وكيف تكون السّنة النّبوية التي يقول صاحبها: «كثرت عليَّ الكذّابة، فمن كذّب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري.

كيف تكون قاضية على القرآن الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد﴾[2].

---

(1) يونس، آية 15.

(2) فصّلت، آية 42.

ولو كان هذا الكلام صحيح لأبطلنا كثير من الأحكام الإلهية بأحاديث مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا جاءكم حديث عنّي فأعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاعملوا به، وما خالف كتاب الله فهو زخرفٌ» وفي رواية: «فاضربوا به عرض الجدار».

ولعمري هذا هو المعقول ولولا هذه القاعدة الذهبيّة لما بقي عندنا مقياسٌ نرتكز عليه لمعرفة الصحيح من المكذوب والخطأ من الصّواب.

فهناك آلاف من الأحاديث الموضوعة التي تنسب إلى صاحب الرّسالة ولولا هذه القاعدة لما عرف العلماء تنقية كلامه من كلام غيره من البشر.

والبعض منهم ـ أي من علماء أهل السّنة والجماعة ـ يروون على لسان الإمام علي عليه السلام رواية التّحريم التي يُسندونها إلى الزهري الذي كان أشد النّاس عداوةً لأمير المؤمنين عليه السلام والتي يقول فيها بأنّ علي إختلف مع ابن عبّاس في تحليل المتعة وكان ابن عبّاس يرى حلّيتها إلى يوم القيامة، فقال له علي عليه السلام: «إنّك

رجلٌ تائه، إنّ رسول الله نهى عنها يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية».

وقد تضاربت رواية الزهري هذه فمرّة أنّها حُرّمت في خيبر ومرّة حُرّمت في فتح مكّة ومرّة حُرّمت في غزوة أوطاس ومرّة أنها حُرّمت في حجّة الوداع وفي رواية أخرى أنّها حُرّمت يوم حُنين.

ولشدّة التضارب فيها فهي ساقطة بطبيعتها وكيف والمعروف من كتب التّاريخ بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان من أشدّ المعارضين لعمر بن الخطّاب في تحريمه المتعتان؛ مُتعة الحجّ ومتعة النّساء، وقال في ذلك قولته المشهورة: «إنّ المتعة رحمة رحم الله بها عباده، ولولا نهي عمر ما زنى إلا شقي».

وموقف عمر بن الخطّاب معروف عندما صعد المنبر وقال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهما وأُعاقب عليهما متعة الحجّ ومتعة النّساء».

فلو كان عمر يعلم بهذه الرّواية التي رواها الزهري عن علي بن أبي طالب لكان من الأفضل أن يسند التحريم إلى الرسول نفسه هذا أوّلاً.

أمّا ثانياً لو كان عمر يعلم بهذه الرّواية لاحتجّ بها على الإمام علي الذي عارضه على تحريمه متعة النّساء .

وبما أنّ ـ أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطّاب قد أسند التحريم إلى نفسه زمن خلافته فلا عبرة لرواية الزهري الكاذبة.

وقد اضطرّ علماء أهل السّنة والجماعة للتغطية على خليفتهم المُفضّل عمر بن الخطّاب لعلمهم بأنّ المسلمين الصّادقين لا يتركون أحكام الله ورسوله لإجتهاد عمر بن الخطّاب.

وأهل البحث والتحقيق يعلمون علم اليقين بأنّ أهل السّنة والجماعة يتّبعون إجتهادات عمر بن الخطّاب في مقابل النّصوص الصّريحة التي وردت في القرآن الكريم والسنّة النّبوية الشّريفة.

ولا أقول هذا جُزافاً ولا إدّعاءً ولا رجماً بالغيب إنّما أقوله على بيّنة من أمري بعد البحث والتحقيق، وسأعطيك أيّها القارئ العزيز أدلّة على ذلك:

الدليل الأوّل: اجتهد عمر برأيه في بدعته لصلاة جديدة سُمّيت بصلاة التروايح، ولا أساس لهذه الصّلاة لا في كتاب الله ولا في سنّة رسوله صلى الله عليه وآله.

بل أنّ رسول الله نهى عنها في حياته وقال للصحابة الذين صلّوها في مسجده: «إنّي خشيت أن تُكتب عليكم فلا تُطيقوها، صلّوا أيّها الناس في بيوتكم فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته ما عدا الصّلاة المكتوبة» أخرجه البخاري ومسلم.

كما أنّه طيلة حياته صلى الله عليه وآله لم يصلّ صلاة النّافلة في جماعة وكان ينهى عن ذلك.

ولكنّ أهل السّنة والجماعة لم يعبأوا بنهي النّبي صلى الله عليه وآله واتّبعوا بدعة عمر بن الخطّاب من زمانه إلى يوم النّاس هذا، فترى البعض منهم تاركين للصّلاة في سائر السنّة ولكنّهم يُسارعون لصّلاة التّراويح في رمضان بدعوى الإستماع إلى القرآن، وإذا ما إنتقدتَ أحدهم وأريته الدّليل من صحيح البخاري الذي ينزله بمنزلة القرآن.

فيسقول لك بكل جرأة:

نعم وماذا فيها؟!! إنّها بدعة حسنة كما سمّاها سيّدنا عمر عندما قال عنها إنّها بدعة ونعمة البدعة.

وفات هؤلاء المساكين الذين يقلّدون تقليداً أعمى من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

كما فات عمر بن الخطّاب نفسه بأنّ البدعة ليس فيها الحسنُ والنّعمة لقوله صلى الله عليه وآله:

«كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار» وفي رواية أخرى: «كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النّار»[1].

حتّى أنّك تسمع إلى كلّ خطيب من السّلفية يبدأ كلامه:

«إن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هَدْي محمّد وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النّار».

وبما أنّنا نفهم اللّغة العربية التي نطق بها نبيّ الإسلام فقوله: كلّ بدعة ضلالة فليس هناك إستثناء وليس هناك بدعة حسنة أو بدعة فيها نعمة، لماذا؟

لأنّ البدعة هي أي شيء زيدَ في الدّين خارج كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، أعني أي شيء زيد في الدّين وليس منه فثبت بذلك كلّه بأنّ بدعة عمر بن الخطّاب هي ضلالة؛ لأنّها أدخلت صلاة التراويح في الدّين وهي ليست من الدّين، فأهل السنّة والجماعة إتبعوا ضلالة عمر وتركوا هَدْي محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(1) روى هذه الأحاديث جمع غفير من الأئمة بإسناد صحيح ومنهم الإمام أحمد في مسنده.

الدّليل الثاني: وهو أعظم جُرماً وشناعة من الدّليل الأوّل وإذا كان الدّليل الأوّل فيه مخالفةً للسّنة النّبوية الشّريفة فإنّ الدّليل الثاني فيه مخالفة صريحة لكتاب الله وأحكامه.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه في سورة الطّلاق:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً* فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدْراً﴾[1].

والمعروف من هذه السّورة وهذه الآيات البيّنات أنّ المرأة إذا طُلقت عدّتها ثلاثة قروء.

---

(1) الطّلاق، آية 1 ـ 3.

ومن المعلوم أيضاً بأنّ الطّلاق في الإسلام مرّتان فإن طلّقها للمرّة الثالثة فلا تحلّ له أن يُراجعها إلا من بعد أن تُنكح زوجاً غيره، فإذا طلّقها زوجها الثاني فيمكن للزوج الأوّل حينئذٍ مُراجعتها.

وهذه حكمة إلهية فرضها الله سبحانه وتعالى على الرّجال لكي لا يعبثوا بالنّساء؛ لأنّ بعضهم كان يطلّق زوجته متى شاء ويُراجعها بعد عدّتها يفعل ذلك عديد المرّات حتّى يمنعها من حرّيتها فلا تتزوّج غيره.

وبذلك يحتكرها لنفسه ويعظلها لتبقى تحت رحمته فوضع الله سبحانه وتعالى قاعدة الطّلاق الثّلاث لتأديب الرّجال كي لا يعبثوا بمصير النّساء، قال تعالى في هذا:

﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوف أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَان... [إلى قوله تعالى]: فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا...﴾[1].

لكنّ ابن الخطّاب كعادته يخوّل لنفسه أن يبدّل أحكام الله ورسوله كما يحلو له فقد جاء عن ابن عبّاس أنّه قال:

---

(1) البقرة، آية 229 ـ 230.

«كان الطّلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثّلاث واحدة. فقال عمر بن الخطّاب إنّ النّاس قد استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناةٌ، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم» [صحيح مسلم].

فكان الرجل إذا قال لزوجته: أنت طالق، طالق، طالق، أو قال لها أنت طالق بالثّلاث فلا يعدّ ذلك إلا لغواً ولا يكون في الحقيقة إلا واحدة؛ لأنّ كل تطليقة لا بدّ لها من عدّة ثلاثة أشهر كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى.

وإذا كان الطّلاق ثلاث مرّات فسوف يستغرق ذلك تسعة أشهر بكاملها، وهذا لا يقبله ابن الخطّاب فحوّل الطّلاق الثّلاث وأجازه باللّفظ لا بالعدّة.

وأصبح الطلاق من ذلك الوقت بالكلمة فإذا قال الزوج لزوجته أنت طالق وكرّرها ثلاث مرات أو قال لها أنت طالق بالثّلاث حرّمت عليه زوجته إلى أن تنكح زوجاً غيره.

وأهل السنّة والجماعة قد أخذوا كلّهم ببدعة عمر بن الخطّاب في الطّلاق وتركوا حكم الله سبحانه وتعالى وبقي هذا الحكم أو قُل بقيت هذه البدعة من عهد عمر بن الخطّاب إلى يوم النّاس هذا

في كل البلاد العربية والإسلامية وقد مثلوا لذلك مسرحيّات وأفلاماً في مصر وفي المغرب تحكي هذه المهزلة وسُمّيت بالتّياس والمحلّل ورجل تحت الطّلب، وتحكي هذه القصص بأنّ الزوج وفي حالة الغضب يقول لزوجته طلقتك بالثّلاث ثم بعد ذلك يندم ويريد مراجعتها فيمنعونه بحجّة المحلّل الذي يختارونه ليعقد على زوجته بنيّة تطليقها من الغد ثم ينام معها ليلة واحدة والله وحده يلعم ما يقع في تلك اللّيلة ثم يأتي المأذون من الغد فيطلب من الزوج الجديد أن يطلّق زوجته مقابل مبلغ من المال اتّفقوا عليه مُسبقاً.

وقد حدثت في ذلك حوادث مخزية ومُضحكة وأصبحت أحكام الإسلام مهزلة يسْتهزء منها أعداء الإسلام في كلّ مكان فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

الدليل الثالث: نكاح المتعة الذي نزل في كتاب الله العزيز والذي أباحه الرسول صلى الله عليه وآله إلى صحابته فقام عمر بن الخطّاب في شطر خلافته على المنبر ليقول للمسلمين:

«متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحجّ ومتعة النّساء».

وقد جاء في الإصابة لابن حجر قوله:

أمّا نهيُ عمر رضي الله عنه النّاس عن متعة الحجّ ومتعة النّكاح فهو أمرٌ ثابتٌ: وروى في ذلك روايتين عن أبي نضرة قال: كنتُ عند جابر بن عبدالله فأتاه آتٍ فقال: إنّ ابن عبّاس وابن الزّبير إختلفا في المتّعتين، فقال جابر: «فعلناهُما مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نهانا عنهما عمر، فلم نَعُدْ لهما» [رواه مسلم حديث **1249**].

وروى البيهقي في السنن الكبرى أيضاً عن أبي نضرة، عن جابر رضي الله عنه قال: قلت إن ابن الزّبير ينهى عن المتعة وإنّ ابن عبّاس يأمر بها، قال: على يديّ جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع أبي بكر رضي الله عنه.

فلمّا وُلّيَ عمر خطب النّاس فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو هذا الرسول، وإن هذا القرآن هو هذا القرآن، وإنّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، إحداهما متعة النّساء، ولا أقدر على رجل تزوّج امرأةٍ إلى أجل إلا غيّبته في الحجارة، والأخرى متعة الحجّ».

وحتّى تفهم أيّها القارئ اللّبيب نفسية عمر بن الخطّاب وشدّة حقده على متعة النّساء قوله:

«ولا أقدر على رجلٍ تزوج إمرأة إلى أجلٍ إلا غيّبته في الحجارة».

وهذا إعتراف صريح وشهادة منه بأنّ المتعة هي زواج شرعي ولو كان لأجلٍ، وقوله إلا غيّبته في الحجارة وهذا معناه سَيَرْجمه بالحجارة حتّى الموت، فمن أين جاء بهذا الحكم؟!! سوى أنّه يجتهد برأيه مقابل النّصوص الصّريحة ...

وإلا حتّى حكم الزّاني في القرآن فهو الجلد وليس الرّجم كما يزعم ابن الخطّاب، فكيف يخالف كتاب الله ويحكم على مَن تزوّج بأمرأةٍ إلى أجلٍ بالقتل؟!!

إنّه والله أمرٌ غريبٌ أن يُصبح عمر فعّال لما يُريد...

وعن عمران بن الحصين أنّه قال:

نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينزل قرآن يُحرّمه ولم ينه عنها حتّى مات، قال رجلٌ برأيه ما شاء، قال محمّد البخاري يقال أنّه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه[1].

ورُوي عن أحد كبار الصّحابة قوله: هداني عمر إلى المتعة فقيل، وكيف ذلك؟

---

(1) صحيح البخاري، ص 71 من الجزء الثالث.

قال: خطب عمر بن الخطّاب على المنبر قائلاً: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما فقبلنا شهادته ورفضنا نهيه».

ولا يبقى معك أيّها القارئ العزيز بعد هذه الأدلّة الثّلاثة التي قدمتها لك إلا أن تتحقّق بأنّ أهل السنّة والجماعة عندهم حلال عمر حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

ويبقى بعد ذلك أنّ بعض أهل السّنة والجماعة لمّا أعيتهم الحيل والتأويلات في إقناع الباحثين بنسبة التحريم إليه صلى الله عليه وآله وبأنّه من السّفاهة القول بأنّ عمر بن الخطّاب هو الذي حرّم زواج المتعة لجأوا إلى القول بأنّ آية المتعة كانت حلالاً في بداية الإسلام ولكنها نُسخت بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[1].

وكذلك وردت نفس الآية في سورة المعارج آية رقم (20ـ 21).

(1) المؤمنون، آية 5 ـ 7.

وهو باطل ولا يصح أوّلاً لأنّ سورة المؤمنون مكّية وكذلك سورة المارج فهي أيضاً مكّية أي أنّهما نزلتا قبل الهجرة .

أمّا آية نكاح المتعة فنزلت في سورة النّساء وهي مدنية أي بعد الهجرة النّبوية فلا يمكن أبداً أن تكون الآية النّاسخة قد نزلت قبل الآية المنسوخة هذا إذا إعترفنا بالنّسخ في القرآن الكريم.

وثانياً فإنّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ ليس فيه أي دليل على تحريم المتعة؛ لأنّ المرأة التي يتمتّع بها هي زوجة حقيقية ولها من الحقوق والواجبات مثل الزوجة الدّائمة والفرق الوحيد هو أنّ الزوجة الدائمة تبقى تحت زوجها وله أن يُطلّقها متى شاء، أمّا في الزواج المؤقّت فالطلاق هو باختيار الزوجة التي تُعيّنه مُسبقاً باختيارها وعلى الزوج إمّا القبول أو الرّفض وهي التي تعيّن المهر الذي تريده وعليه القبول أو الرّفض؛ فالزواج المؤقّت شرّعه الله لفائدة المرأة ؛ لأن قرار زواجها ومهرها وطلاقها كلّه بيدها وليس بيد زوجها .

ثم لو كانت هذه الآية التي إستدلّوا بها على نسخ آية المتعة، لو كانت صحيحة كما يعتقدون لما جاز لعلماء المسلمين كلّهم سنّة وشيعة أن يُفسّروا الآية في سورة النّساء بأنّها نزلت لتحليل هذا

الزواج في بداية الإسلام فلماذا لم يقولوا من البداية بأنّ هذا النّوع من النكاح محرّم في الإسلام وينتهي الأمر، ولا يبقى جدالٌ بين الصّحابة في التّحليل والتّحريم.

وبالمناسبة فإنّ كثير من علماء أهل السّنة والجماعة يقولون بحلّية المتعة ومن هؤلا عالم تونس وشيخ جامعة الزيتونة فضيلة الشيخ الطّاهر بن عاشور في كتابه المشهور بالتحرير والتنوير من جزئه الخامس في تفسير سورة النّساء.

بقي دليلٌ أخير على أنّ المتعة زواج شرعي لا غُبار عليه فإنّ أئمّة المذاهب الأربعة لأهل السّنة والجماعة ومع قولهم بالتّحريم إلا أنّهم لم يُرتّبوا عليه أيّة عُقوبة فعلى إخواننا من أهل السّنة والجماعة أن يتّقوا الله في إخوانهم من الشّيعة فلا يلْمزونهم بالقول بأنّ المتعة هي زنا مُقنّن وأن كل مَن يتمتّع فهو زانٍ فهذا تجنّي؛ لأن كثير من الرّجال في بلدي تونس العزيزة يتزوّجون سرّياً لأن القانون السّائد يمنع الزّواج الثاني ويُعاقب عليه فالتجأ الكثير من النّاس إلى الزواج المؤقّت تحت أسماء متعدّدة فالبعض يُسمّيه زواج عرفي والبعض يقول زواج إضطراري وآخرون لا يرون بأساً في تسميته بزواج الشّيعة أو زواج المتعة.

فالله سبحانه وتعالى أباح هذا الزواج لعباده لكي لا يُحرجهم فيدخلون في المحرّمات ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[1].

والذي نفهمه من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله أنّ الزّنا الذي حرّمه الله سبحانه وتعالى هو في حالتين فقط؛ الحالة الأولى هي إغتصاب المرأة جنسياً، الحالة الثانية هي نكاح إمرأة مُحصّنة يعني متزوّجه فلا يجوز الإقتراب منها ولا حتّى لمسها.

* * *

(1) الإسراء، آية 32.

الغلوّ في علي وأهل البيت عليهم السلام

لا شكّ أنّ بعضاً من الشّيعة مُغالون في حبّ علي بن أبي طالب خاصّة وفي الأئمّة من أهل البيت عامّة...

ولهم في الغلو فنّاً خاصّاً لتأويل الآيات القرآنية التي جاء في أسباب النزول أنّها نزلت في علي عليه السلام وكذلك تأويل الأحاديث النّبوية الشريفة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله في فضائل وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد تواترت الأخبار التي رواها بعض الصّحابة وبعض التّابعين ونقلها المحدّثون والمؤرّخون في كتبهم والتي جعلت من شخصية علي بن أبي طالب شخصية أسطورية خارقة للعادة بل شخصية معجزة في بعض المواقف.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في كتاب (شرح نهج البلاغة):

«أمّا الشجاعة فإنّه أنسى النّاس فيها، ذكر من كان قبله، ومحا إسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، تضرب بها

الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشّجاع الذي ما فرّ قطّ، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قطّ فاحتاجت إلى ثانية.

ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح النّاس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو بن العاص: لقد أنصفك.

قال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه الشّجاع المطرق، أراك طمعت في إمارة الشّام بعدي.

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، وأمّا قتلاه فافتخار أهلهم أظهر وأكثر بأنّه عليه السلام هو الذي قتلهم، حيث قالت أخت عمرو بن عبد ودّ وهي ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

بكيته أبداً ما دمتُ في الأبـــدِ

لكنّ قاتلهُ من لا نظير لــه

وكان أبوه يُدعى بيضة البلـــد

وكانت ملوك الروم والإفرنج تضع صوره عليه السلام حاملاً لسيفه في بيوت عبادتها، وكذلك ملوك الترك والديلم فكانوا يضعون صوره عليه السلام على سيوفهم كأنّهم يتفاءلون به النّصر والظّفر في الحرب.

فلا يمكن أن توصف الشّجاعة بأكثر من أنّه ما نكل عن مبارز، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا فرّ قط، ولا ضرب ضربة فاحتاج إلى ثانية، وكان يقول عليه السلام: «ما بارزتُ أحداً إلا وكنت أنا ونفسه عليه».

وقيل له: يا أمير المؤمنين ألا تعدّ فرساً للفرّ والكرّ؟

فقال عليه السلام: أمّا أنا فلا أفرُّ ومن فرّ منّي فلا أطلبه.

وكفى في ذلك مبيته على الفراش ليلة الغار معرّضاً نفسه للأخطار، فلم يخف ولم يحزن، فوقى النبي صلى الله عليه وآله بنفسه، وفداه بمهجته.

وخروجه بالفواطم جهاراً من مكّة ولحوق الفوارس الثمانية به لما علموا بخروجه حانقين عليه عازمين على قتله إن لم يرجع راغماً، ولا بدّ أن يكونوا من شجعان مكّةوأبطالها ؛ لأنّ من ينتدب لمثل ذلك لا يكون من جبناء النّاس، وهم فرسان وهو راجلٌ، وهم

ثمانية وهو واحدٌ وليس معه إلا أيمن ابن أم أيمن وأبو واقد اللّيثي وهما لا يغنيان عنه شيئاً.

وقد أخذ الهلع أبا واقد حين رأى الفرسان، فسكن جأشه ولم ينقل أنّهما ـ أيمن وأبا واقد ـ عاوناه بشيء، بل كان حظّهما حظّ الواقف المتفرّج.

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام بحاجة إلى مساعد، على أنّ الثّمانية فوارس ولو لم يكونوا في الدرجة العالية من الشّجاعة، إلا أنّه لا يفلت منهم رجل واحد في العشرين من عمره أو تجاوزها بقليل مهما كان شجاعاً، فيكفيهم أن يحيطوا به من كلّ جانب فيقتلوه ولو رضخاً بالحجارة، فإذا كرَّ على الذين أمامه حمل عليه الذين من وراءه، أو كرّ على الذين وراءه حمل عليه الذين أمامه. فلا يمكنه الخلاص ويسهل عليهم قتله أو أسره.

أمّا القوّة فحدّث ولا حرج وقد ذكر المؤرّخون في قوّته قصص عجيبة وغريبة يكاد العقل أن يقف عندها محتاراً؛ ففي معركة بدر التي كانت إنطلاقة الإسلام بعدها كلّها هيبة ورفعة لدى كلّ العرب كان بطلها علي بن أبي طالب إذ يقول ابن أبي الحديدي في ذلك

أنّه قُتل من أبطال قريش وشجعانها سبعين رجلاً قتل علي وحده نصفهم وقتل المسلمون بإعانة الملائكة النصف الثاني.

وهو أيضاً بطل غزوة أحد التي استشهد فيها حمزة وهُزم فيها المسلمون وهربوا من المعركة وتركوا الرّسول الذي أحاط به المشركون ليقتلوه لولا حماية علي ودفاعه حتّى تلقّى بجسده أكثر من سبعين طعنة حتّى سُمع صوتٌ ينادي في السّماء «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار».

كذلك في معركة الخندق التي برز فيها بطل قريش المشهور عمرو بن عبد ود العامري وتحدّى فيها المسلمين بقوله : من منكم يريد دخول الجنّة فليبارزني؟ ولكن شجعان الصّحابة خافوا بأسه ورغم نداء الرّسول من يبارز هذا اللّعين وأضمن له على الله الجنّة، فلم يستجب منهم أحدٌ إلا علي بن أبي طالب وله من العمر إحدى وعشرون عاماً فبرز إليه وقتله وأراح المسلمين من شرّه وقد قال الرّسول يومها عندما برز علي إلى عمرو بن عبد ودّ: «برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه وحتّى كان بعض الصّحابة يقرأون:

«وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب».

كذلك في معركة خيبر ضدّ اليهود التي بعث الرّسول أبا بكر ومعه جيش لفتحها فلم يقدر على ذلك ورجع مهزوماً.

وبعث في المرّة الثانية عمر بن الخطّاب ومعه جيش لفتحها فرجع هو أيضاً مهزوماً يجبّن أصحابه وهم يجبّنونه.

عند ذلك قال الرّسول صلى الله عليه وآله غداً لأعطين رايتي إلى رجل يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً ليس فراراً إمتحن الله قلبه للإيمان...

فلمّا أصبحوا إمتدّت لها الأعناق وكلّ يُرجى أن يُعطاها، فقال: ادعُ لي عليّاً!

قالوا يا رسول الله إنّه ليشتكي عينيه، قال: إئتوني به، فجاؤوا به يقتادونه فمسح الرّسول على عينيه فبرأ لوقته ودفع الرّاية إليه..

وهنا تبدو المعجزة التي سجّلها المحدّثون وأصحاب السِّيَر إذ أنّ عليّاً تقدّم إلى حصن خيبر ولم يُبال بالحجارة ولا بالزيت المحرق واقتلع باب الحصن بيده صائحاً: الله أكبر وقتل مرحب بطل اليهود وجاء إلى الرسول منتصراً بعدما فتح خيبر جاءه بصفية بنت حُيْي فتزوّجها رسول الله بعدما أسلمت.

ويقول بعض الرّواة بأنّ أربعة عشر رجلاً لم يقدروا على حمل باب خيبر، فكيف إقتلعه علي بيده وتترّس به؟ أوليست هذه قوّة إلهية يعجز عنها البشر؟!!

وهو الذي اقتلع هُبل من أعلى الكعبة وكان عظيماً جدّاً وألقى به إلى الأرض.

كما يروون أنّه عليه السلام إقتلع صخرة كبيرة إعترضت طريق الجيش بعد أن عجز الجيش كلّه عن تحريكها فاقتلعها وأنبط من تحتها الماء فلا تستغرب من بعض العوام الذين شاهدوا منه هذه المعجزات فألّهوه وعبدوه إعتقاداً منهم بأنّه إله حُلّ في صورة بشر.

هذه بعض أعماله التي شاهدها بعض أصحابه وأتباعه ورواها الخلف عن السّلف.

وما أقول في رجلٍ تعزى إليه كلّ فضيلة وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة؟

فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عُذرها وسابق مضمارها، ومُجلّي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله إقتفى.

وباختصار شديد يقول ابن أبي الحديد بأنّ كلّ العلوم إليه تنتهي وأعطى لذلك أدلّة كثيرة لا يشكّ فيها .

أمّا فضائله التي جاءت في أحاديث الرّسول صلى الله عليه وآله فتكاد هي الأخرى تكون إعجازاً.

جاء في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل وكذلك رواه البيهقي في كتابه المصنف في فضائل الصّحابة يرفعه بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبرهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام».

كذلك قول الرّسول له: «يا علي إنّ الله أعطاك أربعاً لم يعطها لأحد سواك ولا حتّى أنا رسوله، قال علي صفهم لي يا رسول الله، فقال:

أوّلاً: ميلادك في بيت الله الحرام لم يلد فيها قبلك ولن يلد فيها بعدك أحد.

ثانياً: جعل صهرك رسول الله ولم يُعطني صهراً مثلي.

ثالثاً: زوّجك الله بفاطمة سيّدة نساء العالمين ولم يُعطني زوجة مثلها.

رابعاً: جعل الأئمّة الأوصياء في صلبك ولم يجعلهم في صلبي.

وقول الرسول صلى الله عليه وآله: «مَن سرّه أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أمّتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[1].

أضف إلى كلّ ذلك الأحاديث المشهورة التي أخرجها صحاح أهل السّنة والجماعة والتي بلغت حدّ التواتر، كقوله صلى الله عليه وآله:

«يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي» [أخرجه البخاري ومسلم].

وقوله صلى الله عليه وآله: «مَن كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه».

وقوله صلى الله عليه وآله: «حبّ علي إيمان وبغضه نفاق».

وقوله لإبنته فاطمة عليها السلام:

---

(1) مستدرك الحاكم، ج4، ص 138؛ والطبراني في الجامع الكبير، والإصابة لإبن حجر العسقلاني، وكنز العمال، ج6، ص155؛ تاريخ ابن عساكر، ج2، ص 95.

«مالك تبكين يا فاطمة؟ والله أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً وأوّلهم سِلماً»[1].

ولو شئنا إستقراء كتب الحديث كلّها لوجدنا أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد أخذ منها النّصيب الأوفر ولو أردنا جمع الأحاديث التي إنفرد بها لإستوجب كتاباً كبيراً أو كُتباً كثيرة.

ويكفي ما نقله الإمام إحمد بن حنبل بهذا الصّدد حيث قال:

ماذا أقول في رجل كتم شيعته فضائله خوفاً على أنفسهم، وكتم أعداؤه فضائله حسداً من أنفسهم، فخرج بين ذا وتيك ما ملأ الخافقين.

ولا بأس بذكر منقبة أخرى ذكرها أحمد بن حنبل أيضاً، لمّا سأله إبنه : من أفضل الصّحابة يا أبي؟

فقال : أبو بكر.

قال: ثم مَن؟ فقال: ثم بعده عُمر.

قال: ثم مَن؟ قال: ثم بعد عمر عثمان.

قال: فأين علي؟!!

---

(1) مسند الإمام أحمد، ج5، ص 26؛ كنز العمال، ج13، ص 114؛ تاريخ مدينة دمشق، ج42، ص 126.

قال أحمد لإبنه: ثكلتك أمّك؛ أنت سألتني عن الصّحابة؟ عليّ ليس من الصّحابة، عليٌّ من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فأهل البيت لا يُقاس بهم أحدٌ من هذه الأمّة.

ونختم هذا الفصل بخطبة الإمام علي عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام:

«وناظر قلب اللّبيب، به يبصر أمده ويعرف غوره ونجدهُ، داعٍ دعا وراعٍ رعى، فاستجيبوا للدّاعي واتّبعوا الرّاعي، قد خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السُّنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضّالون المكذّبون، نحن الشّعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تُؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً، فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يُسبقوا، فليصدق رائدٌ أهله وليُحضرْ عقله وليكن من أبناء الآخرة فإنّه منها قدم وإليها ينقلب».

لكلّ ذلك إتّهم أهل السّنة والجماعة إخوانهم الشّيعة بالغلوّ في عليّ وأهل البيت عليهم السلام ومردّ ذلك أن أغلب أهل السّنة والجماعة لا يعرفون من فضائل علي وأهل البيت وخصائصهم التي ذكرها القرآن الكريم والسّنة النبوية الشّريفة إلا النزر القليل وحتّى هذا

القليل يبقي عند البعض منهم محل شكّ وتكذيب؛ لأنّهم كما أسلافهم إتّبعوا مدرسة السّقيفة التي قامت على إبعاد عليّ وأهل البيت وإقصائهم عن مسرح الحياة وإعلان العداء والحرب عليهم من اليوم الأوّل، وهذا ما سجّله تاريخ المسلمين فارجعوا إليه إن كنتم في ريبٍ ممّا نقول.

وأكبر دليل أنّ كثير من أهل السّنة والجماعة لمّا قرأوا التاريخ بتدبّر وبدون تعصّب تشيّعوا لأهل البيت ولعلي بالخصوص، وأصبحوا يقولون بما كانوا يعتقدون بأنّه غلوّ في علي وأهل البيت.

ومع كلّ ما قدّمنا فإنّ علماء الشّيعة والمثقّفون منهم وكذلك المستبصرون الذين تشيّعوا بعد البحث والتّمحيص كلّهم يرفضون الغلوّ الذي يقول به بعض عوام الشّيعة والجاهلين منهم كقول المفوّضة الذين يعتقدون بأنّ الله سبحانه وتعالى قد فوّض الأمر لمحمّد وعلي فهما المتصرّفون في الكون وبأيديهم كلّ شيء.

أوْما يُحكى في بعض القرى اللّبنانية أنّ بعض الشّيعة يستعين بالله لحمل أثقاله ولكنّه في المهمّات الصّعبة لا يستعين إلا بعلي. واعتقد شخصياً بأنّ ما يُحكى من هذا القبيل هو للتّفكّه والتندّر.

ونحن نقولها بكلّ صراحة وبكلّ صدق وأمانة «لعنةُ الله وملائكته والنّاس أجمعين على كلّ مَن يرفع من شأن علي وأهل

البيت فوق شأن خالق الخلق وباسط الرّزق ربّ العالمين وإله النّاس أجمعين».

* * *

الحزنُ في عاشوراء والتّطبير

عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرّم الحرام الذي سجّل ما سُمّي في التأريخ بمأساة كربلاء.

ومأساة كربلاء هي مذبحة شنيعة ومصيبة كبرى لم يسجّل تاريخ المسلمين ولا تاريخ العالمين مثلها على مرّ العصور، إذ أنّ ضحيّتها هو سبط الرسول محمّدﷺ وهو الحسين بن علي بن أبي طالب هو ابن فاطمة الزهراء وحيدة المصطفى.

هو خامس أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، هو سيّد شباب أهل الجنّة وهو ريحانة النّبي في هذه الأمّة.

دعاه بعض شيعة أبيه من الكوفة وأرسلوا له عدّة رسائل يستعجلوه القدوم إليهم ليكون أميرهم وقائدهم بدل يزيد بن معاوية الذي بايعه المسلمون طوعاً وكرها وأصبح يزيد المشهور

بالفسق والفجور أميراً للمؤمنين ورفض بيعته الحسين بن علي بن أبي طالب الذي إشتهر بمقولته:

«مثلي لا يُبايع مثله».

وبما أن يزيد ورث من أبيه معاوية الملك والمال الوفير الذي كان يدّخره لمدة طويلة، لا تقل عن ثلاثين عاماً وقد عطّل الخمس بدعوى أنّ الخمس لا يكون إلا في غنيمة الحرب فقط.

لذلك وجد يزيد بن معاوية أعواناً من الصّحابة والتّابعين لهم الذين باعوا دينهم بدنياهم من أجل المال والسّلطان.

وأمّا الحسين بن علي فلم يرث من أبيه شيئاً يذكر؛ لأنّ علي عاش فقيراً ومات فقيراً.

وكان هو خليفة يُوزّع الأموال من بيت مال المسلمين ويكنسها بيده ويقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرّي غيري ويا دنيا لقد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها.

لذلك كَثُر أتباع يزيد بن معاوية من كل أصناف النّاس بينما قلّ أتباع الحسين بن علي لقلّة ما بيده من الأموال وهو القائل:

«النّاس عبيد الدّنيا والدّين لعقٌ على ألسنتهم ما درّت معائشهم، فإذا ما مُحّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون».

وقديماً قال أحد الشعراء:

رأيت النّاس قد مالُوا إلى مَن عنده المالُ

ومن ليس عنده المالُ فعنه النّاس قد مالوا

رأيت النّاس قد ذهبوا إلى مَن عنده الذهبُ

ومن ليس عنده ذهب فعنه النّاس قد ذهبوا

وهناك مثال مُتداول عند جميع النّاس وهو:

المالُ قوامُ الأعمال.

وأضفتُ له أنّا النّصف الثّاني بقولي:

ولاوِي أعناق الرّجال.

بذل يزيد أموالاً كثيرة عن طريق واليه على الكوفة عبدالله بن زياد الذي دعا رؤساء القبائل ورؤساء العشائر وأعطى لكلّ واحد منهم ما أراده من المال، فانقلبت الكوفة من معارضة يزيد إلى مبايعته وأصبحت معارضة للحسين ومحاربة له واجتهدوا في قتل مسلم بن عقيل ابن عمّ الحسين وسفيره إلى الكوفة، وأعدّوا العدّة لمحاربة الحسين وقتله إن لم يقبل بيعة يزيد بن معاوية.

نعم هكذا هي الدّنيا في الماضي والحاضر حتّى القرآن الكريم سجّلها في قوله:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ...﴾ (1).

هذا في الماضي البعيد، وهاك في الحاضر القريب كتب «بانكيمون» رئيس جمعية الأمم المتّحدة تقريراً يُعلن فيه بأنّ السّعودية إرتكبت جرائم حرب في اليمن بقتلها النّساء والأطفال والمدنيين.

وبعد يومين فقط سُحب هذا التّقرير ومنع نشره ولمّا سأله الأعلاميون عن السبب؟ أجاب : بأن المملكة العربية السّعودية هددته بسحب أموالها من المنظمة وأضاف قائلاً: لو سحبت السّعودية أموالها من المنظمة لم يبق للمنظمة أي وجود.

وكذلك فعل رئيس الولايات المتّحدة الأميركية دُونالد ترامب عندما أتاه رجال المخابران الأمريكية (CIA) بتقرير وتسجيل حيّ يكشف تورّط ولي العهد السّعودي محمّد بن سلمان في قتل جمال الخاشقجي وتقطيع جسده وطالبوه بمحاكمته فاعتذر قائلاً: إنّ

(1) البقرة، آية 247.

لأمريكا مصالح في محمّد بن سلمان ولولاه لسقطت دولة إسرائيل من أجل ذلك لا يمكن محاكمته.

نعم، بهذه الصّراحة والوقاحة تكلّم رئيس أمريكا والعالم يحكمه رجال الأعمال ورؤوس الأموال لذلك سقطت كلّ القيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية ولذلك وقف الحسين في ساحة المعركة ليقول لمن كان من مواليه وشيعته:

هذه رسائلكم تطلبون منّي المجيء إليكم وتتوسّلون القدوم عليكم بسرعة لتكونوا من أنصاري وشيعتي؟!!

فماذا سيكون الجواب؟ هل سيعترفون بالأمر الواقع ويقولون له بأنّ الأمول أغرتهم والدّنيا غرّتهم فانقلبوا على أعقابهم؛ لأنّه أمر صعب وعليهم بالتكذيب فهو أسهل، نعم كذّبوه وقالوا: لم نرسل لك رسائل ولا دعوناك لتأتي إلينا.

وماذا سيكون موقف الحسين من هؤلاء الكذّابين غير قوله: «لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم».

وقف الحسين فقيراً من كلّ شيء إلا من الإيمان القوي والعقيدة الرّاسخة التي ورثها عن أبيه الذي كان يلبس المرقّعات

وعن جدّه رسول الله الذي كان يشدّ الحجر على بطنه من شدّة الجوع.

ووقف مع الحسين ثلة من أصحابه الذين كانوا فقراء لا يطمعون في جاه ولا سلطان ولا ينتظرون من سيّدهم الحسين عطاءً ولا جراية ولا ولاية إنّهم يعلمون أنّه لا يملك شيئاً من كلّ ذلك.

وقفوا مدافعين عنه يفدونه بأنفسهم ودماءهم يرجون رحمة الله ورضوانه ويتقرّبون بشخصه إلى شفاعة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كم كانت سليمة قلوب هؤلاء الأصحاب الذين كانوا يتسابقون إلى الموت كما يتسابق العَطاشى عند رؤية الماء الزلال هدفهم الوحيد أن يموتوا ليعيش الحسين.

لقد إستحقّوا أن يقول فيهم سيّد شباب أهل الجنّة:

«لم أرَ اصحاباً أتْقى لله وأبرّ من أصحابي».

وقف في هذا الجانب جماعة مؤمنة دعْوتهم الحقّ وقولهم الصّدق يُمثّلون سيرة الأنبياء والمرسلين، مسيرة الشهداء والمُصلحين باعوا الدنيا بكل متاعها وأقبلوا على الآخرة موقنين بكلّ ما وعد الله عباده الصالحين.

ووقف في الجانب الثّاني جيشٌ بكلّ عدّة وعدد لا يؤمنون إلا بما يعدهم الشيطان من متاع الدنيا وزخرفها، لا يؤمنون إلا بما يملأ جيوبهم من أموال وكلّهم يطمع أن يُولّيه الأمير منصباً حكومياً يستولي من خلاله على أموال الفقراء والمساكين ويستبدُّ بظلمه وجبروته على النّاس أجمعين، وكلّهم ليس في عقيدته إيمان بيوم الحساب وإلا كيف يرومون قتل سبط الرسول محمدﷺ بغير ذنب إقترفه ولا دم سفكه فيهم.

فهذه فلسفة الحياة كلّها؛ صراع دائم بين حقّ وباطل، بين خيرٍ وشرٍّ، بين إيمانٍ ونفاقٍ، بين دنيا وآخرة، بين جنّة ونارٍ.

وقعت الواقعة، وفي الظّاهر إنتصر الباطلُ على الحقّ، إنتصر باطل يزيد الفاسق على حقّ الحسين الزّاهد، وانتصر الشرُّ على الخير وانتصرالنّفاق على الإيمان، وانتصرت الدّنيا على الآخرة، وانتصرت النّار على الجنّة، وانتصرت الجاهلية على الإسلام.

ومن شناعة الواقعة وخسّتها أن تكون الحرب كلّها هدفها الوحيد الإنتقام من عترة النبيﷺ لذلك قُطع رأس الحسين وعلّق فوق رمح وطِيفَ به المدن والأقطار وأخذت حرائر أهل البيت سبايا مكبّلات يُطاف بهنّ في كلّ المدن...

وقد أخفى المؤرّخون كثيراً من الأحداث الشنيعة التي لو ظهرت لكان حقّاً على المؤمن أن يموت كمداً.

والسؤال المطروح على إخواننا من أهل السّنة والجماعة الذين ينتقدون إخوانهم الشّيعة على إحياءهم لذكرى عاشوراء بكلّ حُزنٍ وأسى ويجدّدون الذكرى في كلّ عام.

ويعتقدُ أهل السنّة والجماعة بأنّ إحياء ذكرى عاشوراء هو إثارة للأحقاد والعداوة وإثارة الفتنة بين المسلمين، ويضيفون بأنّ الحسين في الجنّة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فلا داعي للحزن عليه ويستدلّون بقول الرسول صلى الله عليه وآله: «لا حزن فوق ثلاث أيّام».

ونحن لا نشكّ في صحّة الحديث: «لا حُزن فوق ثلاث» ولكن الإستدلال به في هذا المقام غير صحيح.

لأنّ الحديث يتعلّق بالموت الذي كتبه الله على عباده، فالرسول يريد القول بأنّ مَن مات أبوه أو أمّه له الحقّ أن يجزن عليه ثلاثة أيّام ثم يصبر لقضاء الله وقدره، فوفّيه الله أجر الصّابرين.

لذلك يحقُّ لنا أن نقول في هذا الموضوع:

«إنّها كلمة حقٌّ يُراد بها باطلاً».

أمّا قولهم بأنّ سيّدنا الحسين في الجنّة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فلا داعي للحزن عليه!!

فهو كسابقتها كلمة حقّ يراد من ورائها باطلاً. فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معلّم الأمّة بلا شكّ يعلم أن عمّه حمزة سيّد الشهداء في معركة أحد في الجنّة عند مليك مقتدر، ومع ذلك حزن عليه حزناً شديداً حتّى كاد أن يجزع وكان كلّما سمع نائحة تذكّر عمّه حمزة فيبكي ويقول: «ألا نائحة على عمّي حمزة» فكان أهل البيت عليهم السلام كلّما مات لهم ميّتٌ يبدؤون بالنياحة على حمزة؛ ولأنّ عمّه حمزة لم يمتْ موتاً طبيعياً بل قتله المشركون، ولقائل أن يقول هو شهيد سيّد الشهداء، فنقول نعم، ولكنّه مثّلوا بجسده الشريف فشقّ صدره وأكلت كبده وقطعت خصيتاه وعُلقت بأذني هند زوجة أبي سفيان، وعندما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه بتلك الحال جزع عليه وحزن عليه طوال شهور وأعوام.

وهذه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حزنت على أبيها طوال حياتها التي تواصلت ستّة أشهر حسبما يرويه أهل السنّة والجماعة، وكانت تبكيه ليلاً ونهاراً حتّى اضطرّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يبني لها بيتاً سُمّي بـ(بيت الأحزان).

وهذه زينب الكبرى ابنة علي وفاطمة حزنت وبكت على أخيها الحسين طوال حياتها.

وهذا نبي الله يعقوب بكى على فقدان ابنه يوسف حتّى ابيضّت عيناه من الحزن طيلة أربعين عاماً وهو يعلم أنّه حيٌّ يرزق ولكنّه يجهل مكانه.

أمّا قولهم بأنّ إحياء ذكرى عاشوراء هو إثارة للأحقاد والعداوة وإثارة الفتنة بين المسلمين.

وهذا لا يصحّ أبداً إلا إذا كان في المسلمين اليوم من يستحلُّ قتل الحسين والتمثيل بجسده الشريف إنتقاماً من رسول الله وما فعله في المشركين يوم بدر، وقد سجّل التأريخ ما نطق به يزيد عندما وضع رأس الحسين بين يديه فأخذ القضيب يضرب به ثنايا الحسين ويتمثل بقوله:

ليت أشياخي ببدرٍ حضروا

لقالوا لا شُلّت يمينك ولم تُشلْ

لعبتْ هاشمٌ بالملـــــك

فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نـــــزل

وهل يريد منّا هؤلاء القائلين بأنّ ذكرى عاشوراء هي إحياء للأحقاد والعداوة وإثارة الفتنة.

هل يريدون منّا أن لا نحقد ولا نُعادي أولئك الذين أرادوا بقتل الحسين هدم الإسلام من أساسه وإرجاع النّاس إلى عهد الجاهلية.

كلاّ وألف كلاّ نحن نحقد ونُعادي بل ونلعنُ كلّ من قام بهذا العمل الشنيع ومن سمع بذلك فرضي به ولم يستنكره بقلبه ولسانه.

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِروح مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فنحن حربٌ لمن حارب أهل البيت وسلمٌ لمن سالمهم.

ولا أظنُّ أنّ في المسلمين اليوم مَن يرضى بفعل يزيد ولا يرضى بقتل الحسين فضلاً عن التمثيل بجسده كما يقول المؤرّخون

---

(1) المجادلة، آية 22.

بأنّهم وبعد قطع رأسه إنتخبوا سبعين من الفرسان لرضّ عظامه وصدره الشريف .

ولا يصدّق هذا القول إلا إذا إعتقد أهل السّنة والجماعة أنّهم هم المعنيون بقتل الحسين وهم الرّاضون بكلّ ما وقع في كربلاء يوم عاشوراء.

وأنا شخصياً لا أعتقد ذلك لأنّي كنتُ منهم فلا نرضى بذلك ونعتبره من المنكرات الشنيعة وبالرّغم من أن الدّعاية الأموية حاولت بكل جهودها أن تمنعنا من إحياء ذكرى عاشوراء الأليمة بأحاديث وضعوها لهذا الغرض ولا زالت إلى يوم النّاس هذا تُتلى من فوق المنابر في كلّ المساجد بمناسبة عاشوراء فيقوم الإمام ليقول للنّاس:

إنّ يوم عاشوراء هو يوم مباركٌ عند الله تعالى؛ لأنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وهو اليوم الذي رستْ فيه سفينة نوح على جبل الجودي، وهو اليوم الذي كانت فيه النّار برداً وسلاماً على إبراهيم، وهو اليوم الذي أخرج فيه يوسف من الجبّ، وهو اليوم الذي ردّ فيه بصر يعقوب عليه السلام، وهو اليوم الذي إنتصر فيه موسى على فرعون، وهو اليوم الذي نزلت فيه مائدة السماء على

سيّدنا عيسى عليه السلام والحواريون، وهو اليوم الذي رفع فيه عيسى إلى السماء.

ثم يضيف بأنّ سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وصل في هذا اليوم المبارك وهو يوم عاشوراء إلى المدينة المنوّرة فوجد اليهود يصومون؛ فسألهم: لماذا تصومون هذا اليوم؟ فقالوا: لأنّه إنتصر فيه موسى على فرعون.

فقال: نحن أولى بموسى منكم وأمر المسلمين بصوم تاسوعاء وعاشوراء لمخالفة اليهود.

وهو كما ترى أحاديث مكذوبة من بني أميّة ورُواتهم المأجورين لئلا ترسّخ مأساة كربلاء في نفوس المسلمين فيتبرّؤون من مرتكبي هذه الجريمة النّكراء الشّنيعة ويُوالون أهل البيت النبوي الذين نكّل بهم بنو أمية على مرّ التاريخ.

ولكن بقيت مع الأسف آثار تلك الأحاديث عند أهل السّنة والجماعة فتراهم يحتفلون بيوم عاشوراء ويُخرجون زكاة أموالهم في عاشوراء ويؤسّعون على عيّالهم وأطفالهم ببعض الأموال والهدايا حتّى نقل إليَّ أحد الأئمّة في مدينة قفصة بأنّ الذي لا

يستحمّ ولا يتطهّر في يوم عاشوراء فإنّه سيبقى متنجّس طيلة أربعين يوماً.

ولا أدري من أين إقتبست هذه الخرافة، وعلى كلّ حال بقي الشّيعة يحيون ذكرى عاشوراء بالبكاء والنحيب والحزن الشّديد وغالوا في ذلك، فالبعض منهم يفقد وعيه لشدّة الحزن فيضرب رأسه وجسده بالآلات الحادّة كالسّيوف والسلاسل وأغلب مراجع الشّيعة يحرّم ذلك التّطبير ولا يُجيز إذاية النّفس ولا إراقة الدّم.

وبقي أهل السّنة والجماعة يتفرّجون وينتقدون ويستنكرون وبعضهم يكفّرون بدون دليل يذكر.

وأنا كالعادة أقول لإخواني من أهل السّنة والجماعة هوّنوا على أنفسكم؛ لأنّ التّطبير وإن كان مُنكراً فهو لا يُخرج فاعله من الإسلام، وكم هي كثيرة المنكرات التي يفعلها المسلمون.

فهناك حزب العيساوية عند أهل السّنة والجماعة والذين في شطحاتهم يضربون أنفسهم بالسّيوف والخناجر ويحرقون أجسامهم بجريدة النّخيل التي تلتهب ناراً ويعتقدون بأنّ هذه من كرامات سيدي أحمد بن عيسى شيخ الطريقة الصّوفية فتراهم يأكلون كؤوس زجاجية وبعضهم يبتلع شفرات الحلاقة.

وقد حضرت شخصيّاً عديد المرّات في احتفالاتهم ورأيت بعينيّ كلّ ما ذكرته وما لم أذكره أكثر.

لذلك أقول لله في خلقه شؤون والله وحده العالم بحقائق هؤلاء وأولئك وهو بعباده خبير بصير.

وفي الختام لا بدّ أنْ ننوّه بماوصلت إليه هذه الظّاهرة الشّيعية التي دأبت على إحياء عاشوراء بالبكاء والنحيب وإعلان البراءة من المجرمين والظّالمين وتطوّرت هذه السّنوات إلى الزيارة لضريح أبي عبدالله الحسين والتبرّك بها والتقرّب إلى الله بإحياء وتعظيم شعائره، وأصبحت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام تستقطب الملايين من الزّوار الذين يأتون من كلّ حدب وصوب راجلين ماشين على الأقدام نساءً ورجالاً وأطفالاً لمئات الكيلومترات وبعضهم حُفاةً لا يكسبون نعالاً لوقاية أرجلهم.

بل رأينا بعض المُعاقين يتحرّك زحفاً للوصول إلى كربلاء وهو ينادي لبيّك يا حسين!!

وفي زيارة الأربعين ترى العجب ومع كثرة الزائرين الذي يبلغ في هذه السنوات عشرين مليون زائر من كلّ الدول العالمية.

ترى الشّيعة في هذه الأيّام يقيمون المواكب المتعدّدة على طول طريق المَشّاية، وفي هذه المواكب كلّ ما يتصوّر من الكرم والجود والسّخاء فينفقون أموالهم التي جمعوها طوال السّنة على الزوّار فيُوفّرون لهم كلّ أسباب الرّاحة والهناء والنّوم؛ فالأكل والشّرب مجّاناً بلّ يشعر الزّائر بأنّه هو المتفضّل على الباذلين، فمتى شاء الزّائر مشي ومتى شاء وقف ومتى شاء إستراح ونام، بل وفّر شيعة الحسين لزوّاره أطباء يعالجون أمراضه ويُمسّدون بدنه ورجليه لإزالة الأتعاب ؛ رأيت بعيني وأنا في السّيارة من البصرة إلى كربلاء المشّاية الذين يمشون ستمائة كيلومتر على الأقدام، وقيل لي عندما إستغربتُ ذلك بأنّ هناك من يأتي من إيران إلى كربلاء مشياً فسبحان مَن جعل هذه الأفئدة التي تهوى أهل البيت وتتفانى في حبّ أبي عبدالله الحسين.

ذهبتُ إلى الحجّ ثلاث مرّات ولم أشاهد شيئاً من ذلك أبداً، بل أنّ أهل مكّة والمدينة وكذلك جدّة حيث يتواجد الحجيج يرفعون الأسعار لكلّ المواد الغذائية إلى ثلاثة أضعاف ويقولون بكلّ صراحة إنّه موسم التّجارة المُربحة بالنّسبة إليهم، هذا وعدد الحجيج لا يتجاوز ثلاث ملايين في أغلب الحالات، لكن زيارة

الأربعين في كربلاء يصل عدد الزوّار إلى عشرين مليون زائراً كلّهم يأكلون ويشربون ويسكنون ويعالجون مجاناً ولا يدفعون فلساً واحداً.

أفلا تباركون يا إخواني أهل السّنة والجماعة ما وصلت إليه ظاهرة عاشوراء التي تريدون القضاء عليها وإبطالها، هل إستطاعت دولة من دول العالم بثراءها وغناها أن تصنع ما صنعته ظاهرة عاشوراء؟

﴿ اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[1].

* * *

(1) الأحزاب، آية 70 ـ 71.

إنتظار الإمام المهدي

البعض من إخواننا من أهل السّنة والجماعة عندما يتكلّمون عن الشّيعة يلمزونهم بإنتظار المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويروون في ذلك روايات خرافية لا أساس لها من الصحّة إلا في عقول أولئك الرّواة الذين لا يتورّعون في إختلاق الأكاذيب التي نسجتها تلك العقول المريضة فيقولون بأنّ الشّيعة يُجهّزون فرساً مُسرّجاً في باب السّرداب الذي غاب فيه الإمام المهدي وهم يُنادون ليلاً ونهاراً: أخرج يا مهدي!

والسّرداب الذي يذكرونه موجودٌ بالفعل في مدينة سامراء، وقد زرتُ شخصياً مرقد الإمام الحسن العسكري وزوجته مراراً عديدة قبل التفجير وبعده وصلّيت هناك في السّرداب ولم أجد ولم أرَ لهذه الحكاية أثراً.

إنّها من الرّوايات الهزليّة التي يتندّر بها بعض أهل السّنة والجماعة عندما يريدون الإستهزاء بالشّيعة وتحقيرهم والحطّ من مُعتقداتهم فتراهم مرّة يدّعون بأنّهم يقولون خان الأمين؛ لأنّه بدلاً

من إيصال الرّسالة لعلي أعطاها لمحمّد وأخرى بأنّ عندهم قرآنٌ غير قرآن المسلمين ومرّة يقولون بأنّهم يسجدون للتّراب والحجر وأخرى بأنّهم يُبيحون نكاح المحارم إلى آخره...

وكلّ هذه الدّعايات والأراجيف ليس لها في عقائد الشّيعة الإمامية أي وجود ولا يعرفونها.

وهل يظنّ هؤلاء المرْجفين بأنّ الشّيعة عقولهم سخيفة لهذه الدّرجة؟!!

كلا فإنّ في الشّيعة فطاحل العلماء والفلاسفة والفقهاء والمثقّفين من عهد الإمام علي وإلى يوم النّاس هذا، ويكفي أن تعرف بأنّ فنون الإسلام كلّها من الشّيعة، فهم السبّاقون لكلّ العلوم الدّينية منها والدّنيوية كعلم الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك وتحويل المعادن والطّب والعلوم الطّبيعية بأسرها فلا يمكن لهذه العقول العملاقة أن تعتقد بمثل هذه الرّوايات السّخيفة التي لا تعبّر إلا على إنحطاط وتخلّف مُعتقديها.

وبالعودة إلى عقيدة المهدي المنتظر نقول بأنّ هذه العقيدة هي عقيدة قديمة بقدم الإسلام وقد بشّر بها نبيّ الإسلام عليه وآله الصّلاة والسّلام الذي لا ينطق عن الهوى إنّه إلا وحيٌ يُوحى.

وقد أخرج أحاديث الرّسول المتعلّقة بالمهدي أكبر علماء الأمّة في صحاحهم ومسانيدهم من الطّائفتين السّنة والشّيعة القدماء والمعاصرين.

ففي صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم النيسابوري وغيرهم. وفي موسوعة الجمع بين الصّحاح الستّة كذلك ومن المعاصرين السيّد سابق مفتي الإخوان في مصر في كتابه: (العقائد الإسلامية).

وأمّا عند الشّيعة فحدّث ولا حرج فقد سحّل فضيلة الشيخ علي الكوراني العاملي في موسوعة الإمام المهدي مئات الأحاديث المتواترة بخصوص الإمام الثّاني عشر وهو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أذكر قصّة وقعت في تونس تخصّ الإمام المهدي، وقد ذكرتها ولا بأس بإعادتها فإن في الإعادة إفادة كما يقولون!

منذ ثلاث سنوات تقريباً إدّعى رجلٌ تونسي بأنّه المهدي المنتظر وشاع خبره وبدأ النّاس يتساءلون عن حقيقته.

واضطرّ الإعلام التّونسي أن ينظّم لقاء تلفزيوني لهذا المُدّعي وبثّ البرنامج مباشرةً على الهواء لكلّ سكّان الجمهورية في القناة الأولى الحكوميّة.

وكان اللّقاء يجمع بين المُدّعي أنّه المهدي وبين ثلاثة من فطاحل علماء جامعة الزّيتونة.

وتبيّن من خلال الحوار بأنّ الرجل لا يُحسن اللّغة العربية ولا يحسن قراءة القرآن الكريم، وفشل في الإجابة عن أسئلة المحاورين له.

ولكنّي شخصيّاً قلتُ: عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

لماذا علّقت هذا التّعليق على تلك المقابلة؟!!

لأنّي فرحت فرحاً كبيراً لما قدّمه هؤلاء العماء من أحاديث متعدّدة صحيحة تُنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبشّر أمّته بأنّ الدّنيا لا تنتهي قبل أن يُظهر الله المهدي من ولده فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت جوراً وظلماً.

وبهذا الحوار عرف من كان يجهل من التّونسيين نظرية المهدي التي غُيّبت عن أغلب النّاس.

وأنا شخصيّاً أذكر أنّي كنت عندما أخطب في المسجد أثناء صلاة الجمعة في أمريكا وكذلك في المؤتمرات الإسلامية، كنت أقول: بأن الإمام المهدي عليه السلام هو إمام كلّ المسلمين سنّة وشيعة ولكن يختلف الشّيعة والسّنة في مولده، فالشّيعة عندهم قد وُلد وغاب، والسّنة عندهم سيُولد في آخر الزمان، وهم أعني السّنة والشّيعة مُتّفقون على ظهوره في آخر الزمان، فكنت أقول:

أيّها المسلمون سنّة وشيعة إتّحدوا إتّحدوا لتكُونوا يداً واحدة ضدّ أعداءكم، وعندَما يَظهر الإمام المهدي سنسْأَله إن كان غائباً، أم أنّه وُلِدَ من جديد؟

ولذلك أقول لإخواني من أهل السنّة والجماعة: إتّقوا الله في إخوانكم الشّيعة، فالقرآن يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

بَقي إشكالٌ وحيدٌ يثيرهُ دائمًا بعض أهل السنّة والجماعة لأنهم يستبعِدون أن يكون المهدي حيّ وهو غائب لطول هذه المدّة وهي

(1) الحجرات، آية آية 11.

ألف ومائتين سنة!

ورغم أنّ القرآن الكريم قد سجّل بعض القصص التي من المفروض أن تُزيل أمثال هذه الشكوك، كقصّة الذي أماته الله مائةَ عام ثمّ بعثه فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنّه ونظر إلى حماره وهو هيكل عظميّ كيف كساه الله لحماً وبعثَه من جديد وقصّة أصحاب الكهف الذين ناموا في رقدتهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ومعهم كلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد، مع أن الكلب علميًّا لا يعيش أكثر من عشرة سنين، فكيف بقي هذا الكلب طيلة ثلاثمائة سنين وتسعًا ولم يتغيَّر حتّى شعره؟؟؟

وسأذكر لكم قصّة أخرى سجلها القرآن ولم نتدبّرها وهي تقرّب لنا نظرية المهدي وغيبته وكيف ينتفع به الناس ولو كان غائبًا.

إنّها قصّة سيّدنا موسى مع الخضر عليهما السلام ومُوسى عليه السلام هو كليم الله أرسله إلى بني إسرائيل وقصّته مع فرعون معروفة ومشهورة ولا داعي لذكرها فكلّ المسلمين يعرفونها.

ولكن الذي لم نعرفه وغاب عن أذهاننا هو الأتي:

يُقال أنّ موسى أخذه الغرور بأنّه عالمٌ كبير فأوحى الله إليه أنّ

هناك من عبادي من هو أعلم منك، فطلب موسى من الله أن يُلاقيه به ليتعلّم منهُ، وضرب الله موعدًا ومكانًا ليلتقي فيه موسى بعبد الله الصالح.

والمكان هو صخرة في مجمع البحرين والعلامة هي أن يعود الحوت الذي أُعدّ للأكل إلى الحياة ويتّخذ سبيلَه في البحر سَربًا.

إسمع القصة يرويها القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[1].

ومحلّ الشاهد في هذه القصّة: أنّ موسى عليه السلام مع أنّه رسول الله وكليمَهُ لم يكن يعرف هذا العبد الصّالح الذي أتاه الله رحمةً من

(1) الكهف، آية 68.

عنده وعلّمه من لدنْهُ علمًا، ومع أنّه يعيش في نفس الزّمن الذي يعيش فيه موسى لكنّ موسى لم يلتقِ به أبدًا قبل الموعد الذي واعده الله سبحانه وتعالى.

أضف إلى ذلك أنّ موسى عليه السلام لم يكن يعلَم من العلم اللّدنّي شيئًا، لذلك تجد أقطاب الصوفية يفرّقون بين العلم اللّدنّي وعلم الشريعة، بين علم الطّريقة وعلم الحقيقة.

والعلم الذي يعرفه موسى هو علم الشريعة أمّا العلم الذي يعرفه الخضر عليه السلام فهو العلم اللّدنّي وهو علم الحقيقة الذي لا يُعطيه الله سبحانه إلا لخاصّة عباده المخلصين، مثل الخضر[1].

لذلك قال موسى للخضر أوّل ما إلتقى به: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

إعترف موسى بأنّه تلميذ لأستاذه الخضر عليهما السلام والسؤال المطروح هو:

أين كان الخضر عليه السلام؟ أين كان يعيش؟ ولماذا لا يعرفه أحدٌ من الناس بما في ذلك موسى عليه السلام ولماذا كان موعد اللّقاء عند

---

(1) لما سئل الرسول صلى الله عليه وآله عن العبد الصالح صاحب موسى عليه السلام قال: هو الخضر عليه السلام، يعيش إلى آخر الدنيا وأمر المسلمين أن يُسلموا عليه عند ذكر إسمه.

الصخرة بمجمع البحرين الشيء الذي أجبَر موسى ليُسافر سفرًا طويلاً ومتعبًا ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

فإن كان الخضر عليه السلام موجود حقيقة ولكنّه مخفي عن أعين النّاس ولم يشاهده موسى عليه السلام إلا عندَما أذنَ اللهُ له بمشاهدته.

فإن الإمام المهدي عليه السلام موجود حقيقة ولكنّه مخفي عن أعين النّاس ولا يمكن لهم رؤيتهُ إلا عندما يأذن اللهُ له بالظُّهور.

وإذا كان الخضر عليه السلام موجود ويتفاعل مع الناس ولكنّ النّاس لا يَعرفونهُ.

فكذلك الإمام المهدي عليه السلام موجود حقيقة ويتفاعل مع النّاس، ولكنّهم لا يعرفونه لأنّه في الغيبة الصغرى التي دامت ثمانين عامًا لم يكن يعرفه غير السُّفراء الأربعة، وهي تمهيد للغيبة الكبرى.

وإذا كانت الغيبة الصغرى ثمانين عامًا عاصره فيها جيلاً كاملاً لم يشاهده وبالتالي لا يعرفه فكيف سيعرفه من جاء بعدهم.

وإذا كان إخوة يوسف لم يعرفوا أخاهم الذي غاب عنهم أربعين سنة مع أنهم عرفوهُ صغيرًا فكيف بمن لم يره مدى الحياة؟؟

فعلى المسلمين جميعًا سنّة وشيعة أن يتّقوا الله ربّهم ويعتصموا بحبل اللهِ جميعًا ولا يتفرّقوا ويدعوا للإمام المهدي عليه السلام بالفرج

وينتظروا جميعًا يوم الخلاص يوم سيتمّ وعد الله سبحانه بإظهار الدّين الإسلامي على الدّين كلّه ولَو كَرِهَ المشركون.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[1].

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2].

اللّهمّ كن لوليّك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آباءه في هذه السّاعة وفي كلّ ساعة وليًّا وحافظًا وقائداً وناصراً ودَليلاً وعينًا، حتّى تسكنهُ أرضك طوعًا وتمتّعهُ فيها طويلاً واجعلنا اللّهمّ من أنصاره وأعوانه، وهب لنا رأفته ورحمَتهُ ودُعاءهُ وخيرَهُ.

* * *

(1) الفتح، آية 28.
(2) الصف، آية 9.

الأئمّة الإثنا عشر

قد إنقسم الشّيعة إلى ثلاث فرق رئيسيّة وهي:

الفرقة الأولى: وهي الإثنا عشرية والتي تُسمّى أيضًا الفرقة الجعفريّة وهي نفسها الإماميّة.

الفرقة الثانية: وهي الفرقة الزّيدية التي تنسَبُ إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

الفرقة الثالثة: وهي الفرق الإسماعيليّة التي تنسبُ إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصّادق وهم الباطنية.

كما إنقسم أهل السنّة والجماعة إلى أربع فرق رئيسيّة وهي:

الفرقة الأولى: وهي الحنفيّة والتي تنسَبُ إلى الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

الفرقة الثانية: وهي المالكيّة والتي تنسَبُ إلى الإمام مالك بن أنس صاحب كتاب المُوطأ.

الفرقة الثالثة: وهي الشافعيّة والتي تنسَبُ إلى الإمام محمّد بن

إدريس الشافعي.

الفرقة الرابعة: وهي الحنبليّة والتي تنسَبُ إلى الإمام أحمد بن محمّد بن حنبل.

وبعد البحث والتّمحيص في كلّ هذه الفرق السّبعة من السنّة والشيعة لم أجد فرقة واحدة لها جذور ولها تعريف في السنّة النبويّة الصحيحة إلا فرقة واحدة هي الفرقة الإماميّة عند الشيعة.

وقد جاءت الأحاديث مختلفة فمرّة يقول الخلفاء من بعدي إثنى عشر ومرة يقول الأمراء من بعدي إثنا عشر وأخرى يقول: الأئمّة من بعدي إثنا عشر ومرّة يقول: كلّهم من قريش وأخرى يقول: كلّهم من بني هاشم.

وهذه الإختلافات كلّها لأسباب سيّاسيّة معروفة فقد أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين.

أمّا عند الشيعة فهو واضحٌ بدون لبسٍ ولا إختلاف أن الأئمة إثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل وكلّهم من بني هاشم أوّلهم علي وآخرهم المهدي.

وفي بعض الروايات أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله سمّاهم بأسمائهم وألقابهم

أوّلهم علي بن أبي طالب وأولادَه الحسن والحسين ثم تسعة من ذرية الحسين وأوعز إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قائلاً:

يا جابر إنّ الله سيطيل عمرك حتّى تلقى ابني الإمام محمّد الباقر الذي يبقر العلم بقرًا فاقرأه منّي السّلام! وقد أدرك جابر بن عبد الله محمّد الباقر بن علي زين العابدين وقبّله قائلاً: هذه تحيّة من جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكثيرًا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر عدد الأئمة من بعده ويشبّههُم بعدد نقباء بني إسرائيل مرّة وأخرى بعدد الحواريين الذين تبعوا عيسى وقالوا له: نحن أنصار الله آمنّا بالله واشهد بأنّنا مسلمون.

والخلاصة أنّ الشّيعة الإماميّة الإثنا عشريّة هي الوحيدة التي يُوجد لها أساسًا متينًا في السنّة المحمّدية الشريفة وبهذه السنّة الواضحة إكتسبت هذه الفرقة الشرعية الدّينية من بين كلّ الفرق.

وقد حاول علماء أهل السنّة والجماعة أن يَعدّوا الخُلفاء الذين وثقوهم وعدّلوهم فلم يُفلحوا، قالوا أوّلهم أبو بكر ثمّ عمر بن الخطّاب ثمّ عثمان بن عفّان ثم علي بن أبي طالب فهؤلاء هم الخلفاء الرّاشدون الأربعة وعزّ عليهم أن يعدّوا بعد هؤلاء الأربعة

معاوية وابنه اليزيد لأنّهم يعرفون من هو معاوية كما يعرفون من هو اليزيد ويعرفون الملك العَضوض الذي توارثه بنو أميّة والبعض من أهل السنّة عدّ الخليفة عمر بن عبد العزيز كخليفة راشد خامس[1].

ولو قبلنا بهذه النظرية فإنّنا بحاجة إلى سَبعة خلفاء راشدين آخرين حتّى يكتمل النّصاب ولكن دون ذلك خرط القتاد كما يقولون.

وتجدُر الإشارة بأنّ أهل السنّة والجماعة لم يعدّوا عليًّا من الخلفاء الراشدين إلاّ في زمن متأخّر جدًّا، ففي سنة ماءتان وعشرون للهجرة النبويّة أدخل الإمام أحمد بن حنبل الإمام علي في قائمة الخلفاء الرّاشدين فأصبحوا أربعة بعد أن كانوا ثلاثة ويشهد بذلك صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك الذين يروون عن عبد الله بن عمر قوله:

كنّا في زمن نبيّنا لا نعدل بأبي بكر أحد ثم بعده عمر ثم بعده عثمان ثم نمسك فالنّاس بعد ذلك سَواسي «فلا تفاضل بينهم».

وهذا لعمري أمرٌ بديهيٌّ فكيف يعدُّون عليّ بن أبي طالب من

---

(1) ومن عجائب الأمور أن حمادي الجبالي الذي ترأس الحكومة التونسية في بداية الثورة أطلق على نفسه الخليفة الراشد السّادس.

الخلفاء الرّاشدين وهم يسبّونه ويَلعنونه على كلّ منابر المُسلمين طيلة سبعين عامًا من أيام حكومة معاوية إلى زمن عمر بن عبد العزيز الذي أوقف تلك السنّة المشؤمة وأبدلها بقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وبقيتْ هذه السنّة الحميدة إلى يوم النّاس هذا يُردّدها كلّ إمام بعد إنتهاء خطبة الجمعة.

فرحم الله عمر بن عبد العزيز ولو كان أمويًّا فالواجب يحتّم علينا أن نقول للمُحسِن: أحسَنتَ ونقول للمُسيء: أسأتَ بقطع النّظر عن شخصه وجنسه وعقيدته.

فعلى إخواننا من أهل السنّة والجماعة أن يُراجعوا التّاريخ الذي سجّله عُلماؤهم ورُواتهُم بدون تعصّب وبدُون ميْلٍ إلى العاطِفة.

* * *

(1) النحل، آية 90.

مُصحف فاطمة عليها السلام

قبل الدخول في هذا البحث لا بدّ لنا أن نُفرّق بين ما يقوله إخواننا من أهل السنّة والجماعة بهذا الخصوص.

فبعضهم يُنسب إلى الشّيعة القول بأنّه عندهم قرآن فاطمة.

وبعضهم ينسب إلى الشّيعة القول بأنّه عندهم مصحف فاطمة.

والفرقُ بين القولين واضحٌ تمامًا لأنّ القول الأوّل هو كذبٌ صريحٌ فليس لفاطمة بنت محمد قرآنٌ خاصٌ بها ولم يقُل بذلك واحدٌ من الشّيعة إنّما قصد المرجفون بذلك إتّهام الشّيعة لكي يُسقطوهم من أعين المسلمين الذين يعتقدون بأنّ أقدس ما عندهم هو القرآن الكريم.

وتجد من يُردّد هذا الكلام حتّى اليوم فعندما يُسأل: ماذا تعرف عن الشيعة؟

فإنّه سيُجيبك: الشّيعة عندهم قرآن غير قرآننا.

يُردّد كالببغاء ما سمعه من بعض أئمةِ المساجد الذين لا يعرفون

عن الشّيعة شيئًا ويتهمونهم بكلّ شيءٍ وهمّهم الوحيد هو تفريق الأمة وتمزيقها ولا يخافون يوم الحساب.

فهؤلاء لا نُضيع وقتنا معهم فقد جرّبناهم ولم نجد فيهم أملاً للإصلاح فالله يتولاّهم وهو وحده الهادي إلى سواء السّبيل.

أمّا الفريق الثاني الذي يقول بأنّ عند الشيعة مصحف فاطمة فنقول لهم: صَدَقتم ووفّقتُم لأنّ تاريخكم يقول بأن عثمان بن عفّان عندما أراد جمع القرآن إستدعى بمصحف عائشة ومصحف حفصة بنت عمر ليستعين بهما على جمع القرآن فكيف يكون لعائشة بنت أبي بكر مُصحفًا ويكون لحفصة بنت عمر مُصحفًا، ولا يكون لفاطمة بنت محمّد مصحفًا؟؟

إنّه أمرٌ عجيبٌ فالزّوجة التي عاشرت رسول الله بضع سنين أمكنها جمع القرآن في مصحفٍ خاص بها أمّا إبنته التي عاشرته طيلة حياته من قبل البعثة وحتّى الوفاة فهي أولى بجمع القرآن كاملاً في مصحفٍ خاصّ بها، وهو الواقع بلا شك.

وهذا ما يدعونا إلى التّساؤل أيضًا عن كثرة الرواية إذ روت عائشة مئات الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل السنّة والجماعة يأخذون نصف دينهم عن عائشة ولا يروون عن فاطمة روايةً

واحدة ولا عن أمّها خديجة التي عاشت مع رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ممّا عاشت عائشة، وإليك البيان.

عاشت أمّ المؤمنين خديجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله كالتّالي:

تزوّجت محمّدًا وكان عُمره خمس وعشرون عامًا ولم يكن نبيًّا وتُوفيت خديجة وعمره الشريف خمسون عامًا تقريبًا فالحساب يقول قضت خديجة مع النبي خمس وعشرون عامًا. بينما لم تقضِ عائشة مع النبي غير تسع سنواتٍ قضتها بالمشاركة مع ثمانية نساء هنّ زوجات النّبي وأمّهات المؤمنين.

ومعتقدنا بأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله كان عادلاً بين زوجاته لأنّه كان يقضي يومًا كاملاً وليلة مع كل واحدة منهنّ وبذلك نستنتج بأنّ كلّ واحدة منهنّ لم تعش معه إلا عامًا واحدًا، والعمليّة الحسابيّة واضحة: أقسم تسع سنوات على تسع لنساء $\frac{9}{9} = 1$

لكنّ أمّ المؤمنين خديجة قضت خمس وعشرين عامًا كاملة معه ولم تشاركها أيّ امرأة، لأنّه صلى الله عليه وآله لم يتزوّج غيرها إلا بعد وفاتِها.

فعلى إخواننا من أهل السنّة والجماعة أن يفتحوا عُقولهم وقلوبهم لمثل هذه المسائل ليفهموا أنّ السياسة دخلت في كلّ

شيء فأفسدته.

سيقول قائل بأنّ أمّ المؤمنين عائشة كثرت رواياتها عن الرّسول صلى الله عليه وآله لأنّها عاشت بعده ما يقارب أربعين سنة.

ونقول بأنّ الذي عاش عامًا واحدًا مع الرّسول صلى الله عليه وآله قد يحفظ منه مائة حديث مثلاً، فلا تكثر معه الأحاديث بطول العمر والعكس صحيح فإنّه بتقادم العمر قد ينسى بعض ما كان يحفظ.

ثمّ أنّ أمّهات المؤمنين الثّمانية قضين نفس المدّة التي قضتها عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلماذا لم يُسجّل التّاريخ لهنّ أو لواحدة منهنّ واحد من مائة ممّا روته عائشة.

وحتّى لا يبقى هناك شكّ في ما ندّعيه في أمّ المؤمنين عائشة بأنّ السّياسة هي التي جعلت منها أسطورة لا مثيل لها في تاريخ المسلمين سنضرب صفحًا عن كثرة الرواية وعن ملكها لنصف الدين وعن ميل الرّسول إليها دون غيرها!؟

وسنأتي على ذكر أفعالها ومواقفها تجاه العترة النبوية التي لم تلق منها إلا العداوة والبغضاء والإقصاء حتى وصل بها الأمر إلى معصية الله سبحانه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

وعصت أمر زوجها رسول الله الذي حذّرها من الخروج وركوب الجمل ونباح كلاب الحوأب عليها وقادت جيشًا جرّارًا لمحاربة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين الذي بايعه المهاجرون والأنصار في حربٍ ظالمة سُمّيت بحرب الجمل قُتل فيها من المسلمين خلقٌ كثير.

وسيقول لنا بعض العلماء من أهل السنّة والجماعة بأنّها تابت بعد ذلك وندمت واشترت العبيد وحررتهم لتكفّر بذلك عن ذنوبها.

ونردّ على ذلك بأنّ التّوبة وقبولها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك فإن هذا القول لا يستقيم لأنّنا رأينا موقفها من دفن سيد شباب أهل الجنّة الإمام الحسن عليه السلام لما جاء به أخوه الإمام الحسين ليدفنه إلى جانب جدّه.

خرجت عائشة راكبة على بغلة وهي تستنفر بني أميّة لمحاربة بني هاشم وهي تصيح بأعلى صوتها: لا تُدخلوا بيتي من لا أحبُّ!

ولمّا رأى الحسين خطورة الموقف واصطفاف بنو أميّة للحرب، قال لهم: إنّ أخي أوصاني أن لا تسيل قطرة دمٍ من أجله، فاسمحوا لي أن أطوف به على قبر جدّه ثم أدفنه في البقيع.

وتدخّل عبد الله بن عبّاس ليقول لعائشة:

تَجَمَّلتِ وتبغَّلتِ ولو طال عمرك تَفَيَلتِ
سَهمُكِ ثمن التّسع وبالكلّ تصرَّفتِ

نعم إنّها الحقيقة المرّة التي لا يحبّها أكثر النّاس كيف تعترف عائشة بكلّ صراحة أنها لا تحبّ الحسن، أو لم تسمع عائشة حديثًا واحدًا من رسول الله صلى الله عليه وآله في سيّد شباب أهل الجنّة. ألم تسمعهُ يقول له ولأخيه: أنا حرب لمن حاربكم وسلمٌ لمن سالمكم، أحبّ الله من أحبّكم وأبغض الله من أبغضكم.

ألم تسمع الرسول يقول: أذكركم الله في أهل بيتي وكرَّرها ثلاث مرّات، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾.

عائشة التي تروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله مئات الأحاديث في كلّ ميادين الدنيا والدّين إلا أنّها عن أهل البيت عترة النبي صلى الله عليه وآله لا تعرف شيئًا بل تكرههم وتبغضهم وموقفها من علي وفاطمة والحسن والحسين موقف لا يخفى عن الباحثين والمحقّقين.

والذي جرّنا إلى كلّ هذا هو الحديث عن مصحف فاطمة الزهراء بضعة النّبيّ ووحيدته.

فعلى إخواننا من أهل السنّة والجماعة أن يفهموا بأنّ مصحف

فاطمة الذي يقول به الشّيعة ليس بدعًا من المصاحف الأخرى.

وما عليهم إلا التّسليم لهذه الحقائق التّاريخيّة ولا ينسبوا لإخوانهم الشّيعة أباطيل لا يعرفونها.

وعلى ذكر قرآن الشّيعة المزعوم فإنّني عندما كنت سنّيًّا وزرت لأوّل مرة بلاد الشّيعة النجف وكربلاء كانت تراودني هذه الفكرة، فكنت كلّما دخلت بيتًا من بُيوتهم إلا وجدت بها مكتبة فأسرعت إليها بحثًا عن مصاحف القرآن عندهم فلم أعثر إلا على المصاحف المعروفة في بلادنا، حتّى أني وجدت في إحدى البيوت طبعة تونسية لصاحبها التيجاني المحمّدي، ولستُ مُبالغًا إذا قلت بأنّي زرتُ عشرات البيوت والمكتبات ولم أعثر إلا على نفس القرآن الذي يعرفه أهل السنّة والجماعة.

واليوم وقد أصبح العالم قرية كما يقولون وتقدّم العلم إلى درجة لا تصدّق في الهاتف الجوّال الذي بِزرٍّ واحدٍ يُمكنك التحكّم في مكتبة تحتوي على آلاف المجلدات ولا يوجد في كلّ العالم إلا القرآن الذي لا يمكن زيادة حرفٍ واحدٍ فيه كما لا يمكن حذف حرفٍ واحدٍ منه.

أضف إلى ذلك المهرجانات التي تعقَد في كلّ أنحاء العالم

لحفظ القرآن ويشارك فيها حفاظ القرآن من كل الأقطار العربيّة والإسلاميّة وتوزّع الجوائز على الفائزين، ولم يسجّل لجان التحكيم إختلافًا واحدًا عند الحفّاظ من الشيعة.

والحمد لله ربّ العالمين الذي ينصر الحقّ ويبطل الباطل.

* * *

القولُ بالبداء عند الشّيعة

لم يشنّع على الشّيعة من أهل السنّة والجماعة بمثل ما شنّعوا على قول الشّيعة بالبداء.

وبعض اهل السنّة عندما يتكلّمون على البداء يُنسبون للشّيعة قولهم بالجهل إلى الله تعالى ويحتجون بقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل إبني».

وحسب فهمهم وتفسيرهم (أقصد أهل السنّة والجماعة) أنّ الله سبحانه وتعالى بعد أن جعل إسماعيل من سلسلة الأئمّة الإثنا عشر، ندم وبدا له أن يُغيّر بدله موسى.

وهذا إمّا أن يكون فهمًا خاطئ صادر عن حسن نيّة من المُفسر.

وإمّا أن يكون تحريف مقصود عن سوء نيّةٍ ويُقصد من وراءه تكفير الإمام جعفر الصادق لأنّه ينسب الجهل والنّدامة إلى الله عزّ وجلّ.

وبالتالي فإنّ الشّيعة كلّهم كفّار لإعتقادهم بهذه العقيدة الشنيعة في حقّ الله جلّ وعلا عن كل نقيصة.

وهؤلاء الذين لا شك أنّ في قلوبهم مرضٌ لم يسمحوا لأنفسهم بقراءة التّفسير الصحيح لهذا من صاحب المقالة نفسه وهو الإمام جعفر الصّادق عليه السلام وكيف نطق بهذه المقولة.

كان إسماعيل هو الإبن الأكبر للإمام الصادق وكان رجلاً صالحًا وتقيًّا وظنّ أبو بصير وغيره من الشّيعة المقربين بأنّه هو الوصيّ لأبيه بعده، ولكنّه توفّي في حياة أبيه ودفنه الإمام الصادق وبعد دفنه قال عليه السلام لمن حضر جنازته: «ما بدا لله في شيءٍ كما بدا له في إسماعيل إبني» وأضاف قائلاً: وليس معناه أنّ الله تعالى رجع عن الحكم بإمامته من بعدي وبدا له بداء ندامةٍ فمن زعم أنّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو كافر بالله العظيم، بل معناه أنّ الله تعالى ما أظهر شيئًا كان مخفيًّا على الخلق مثل ما أظهره من عدم إمامة إبني إسماعيل إذ أماته قبلي ليعلم النّاس أنّهُ ليسَ هو الإمام من بعدي.

وهو كما ترى ليس فيه معنى للجهل ولا للندامة كما يزعمون بل معناه أنّه إذا أراد الله إظهار بعضًا من الأسرار المخفيّة على خلقه

فيقال: بَدا للّه في ذلك السرّ أن يظهره بعد ما كان مخفيًّا.

وماذا علينا لو قُلنا بَدا للّه أن يغيّر حُكمًا بحكمٍ آخر فهو القائل في كتابه العزيز:

﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[1].

والآية صريحة في أنّ الله سبحانه وتعالى يغيّر الأحكام كيف ما يريد وهو الفعّال لما يريد، ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وهاك آية أخرى أكثر بيانًا من الأولى:

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2].

وإذا لم يكن كذلك فلا معنى للدّعاء الذي يتّجه فيه المؤمن إلى خالقه ليغيّر سوء حاله بحسن حال وليطلب منه الرزق والشفاء وطول العمر وو....

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[3].

وهذه الآية تقول لولا دعاؤكم أيها العباد وطلبكم من الله

---

(1) الرعد، آية 11.

(2) الرعد، آية 39.

(3) الفرقان، آية 77.

سبحانه لتغيير ما بكم، فإنه لا يعبأ بكم ولا يقيم لكم وزنًا.

فأنت إذا أهدى لك والدك لُعبةً تحبّها أو أعطاك بعض النّقود لتشتري بها ما تشاء فإنّك تدعوا له بكلّ دعاء الخير وتضيف بعد ذلك: الله يطوّل عمرك يا بابا!

وهذا معناه إذا استجاب الله لدعائك أن يزيد الله في عمر أبيك الذي كان مكتوبًا عنده ستّين مثلاً فيصبح سبعين أو أكثر.

وهذه هي عقيدة المسلمين جميعًا بدون إستثناء ولا أحدُ منهم يُنكر ذلك.

فهذا هو البدا الذي يفهمه كلّ الشّيعة ويقولون به وليس فيه نسبة الجهل إليه سبحانه وتعالى عمّا يقوله الذين لا يؤمنون.

ولو أنّ أهل السنّة والجماعة تدبّروا ما في كتبهم وصحاحهم من نسبة الجهل إلى الله تعالى لوجدوا الشيء الكثير عندهم ويتنزّه الشيعة أن يقولوا مثله، فلماذا عندما يقول البخاري وهو أصحّ كتاب عندهم بعد كتاب الله.

عندما يقول إمامهم بَدا للّه في أقرع وأبرص وأعمى ويَروي في ذلك قصّة طويلة عن أبي هريرة فلا ينتقدون ولا يعترضون ولا يتّهمون ويبقى كلّ ما يرويه البخاري صحيح لا شك فيه.

أمّا إذا قال الإمام جعفر الصادق بدا للّه، فهنا تقوم الإتّهامات بالكفر والخروج من الدّين.

ألم يَروِ البخاري في صحيحه بأنّ الله بعث ملك الموت ليقبض روح موسى عليه السلام فضربه موسى ففقأ عينه فصعد يشتكيه إلى الله وقال له: إنّك أرسلتني إلى عبد لا يُريد الموت، فردّ الله عليه عينه وقال له: إرجع إلى عبدي موسى وقل له: ضع يدك على متن ثور فكلّما غطّت يدك من شعرة فلك بها سنة. فلمّا جاءه، قال موسى: ثمّ ماذا؟ فقال: ثمّ الموت، فقال: فاقبضني الآن.

ألم يكن الله يعلم بأنّ موسى لا يريد الموت حتّى يُضحّي بعين ملك الموت التي فقأها موسى؟

إنّها قصّة تُضحِك المجانين فضلاً عن العقلاء، ولكن لا بأس بها أذا كان راويها البخاري عن أبي هريرة فيقرأها أهل السنّة والجماعة ويمرّون عليها مرور الكرام ولا يُحلّلونها ولا ينتقدونها بل يحاولون تأويلها إلى ما هو أبعد، قال أحدهم وهو يحاول إقناع المنتقدين الذي إستغربوا كيف يضربُ موسى ملك الموت ويفقأ عينه، فقال: إنّه فقأ عين حُجّته ولم ندرِ ما هي الحجّة وما هي العين التي فقأها موسى.

إنّها خزعبلات وتُرّهات إذا رواها البخاري فإنّها تصبح علومًا يَصعب فهمُهما.

ورواية أخرى هي أخطر من الأولى يرويها البخاري أيضًا وتحكي عن فرض الصّلاة ليلة الإسراء والمعراج، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري، ثمّ غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلمّا جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: إفتَح. قال: من هَذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمّد صلى الله عليه وآله فقال: أأرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجلٌ قاعدٌ على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، أذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والإبن الصالح، قلت: لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنّة، والأسودة التي عن شماله أهل النّار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى.

والقصّة ما زالت طويلة ومُملّة ولذلك سأختصرها وأنتقل مباشرةً إلى محل الشاهد منها وهي فرض الصّلاة. قال ﷺ: ثمّ عرج بي حتّى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام، ففرض الله على أمّتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتّى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمّتك؟

قلت: فرض خمسين صلاة.

قال: فارجع إلى ربّك، فإنّ أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها.

فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربّك فإنّ أمتك لا تطيق ذلك، فراجعتُ فوضع شطرها.

فرجعت إليه فقال: إرجع إلى ربّك، فإنّ أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون، لا يبدّل القول لديَّ.

فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربّك، فقلت: استحييتُ من ربّي.

ثمّ انطلق بي، حتّى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أُدخلتُ الجنّة، فإذا فيها حبايل اللّؤلؤ، وإذا ترابها المسك.

وفي هذه الرواية من صحيح البخاري يتبيّن لنا بأنّ الله سبحانه يجهل ما يعلمه موسى فالله سبحانه وتعالى لا يعلم بأنّ أمة محمّد لا تطيق خمسين صلاة حتّى يراجعه موسى لطلب التخفيف.

ويستجيب الله لاعتراض موسى فيُخفّف على أمّة محمّد من خمسين إلى خمس وعشرين. ولكنّ موسى الذي يعلم ما لا يعلمه الله يقول لمحمّد: إنّ أمتك لا تطيق ذلك فاطلب التخفيف مرّة أخرى.

ويُراجع محمّدٌ ربّه لطلب التخفيف، ويستجيب الله مرّة أخرى لإرادة موسى فيضع شطرها مرّة أخرى وتصبح الصّلاة إثنا عشر ونصف بدلاً من خمس وعشرين[1]، ومرّة ثالثة يرجع محمّد إلى أستاذه موسى الذي يعرف أمّة محمّد أكثر من محمّد نفسه فيقول له: راجع ربّك لأنّ أمتك لا تطيق ذلك.

ويراجع محمّدٌ ربّه للمرّة الثالثة لطلب التخفيف وفي هذه المرّة يكون الله أكثر سخاء فيقول لمحمّد في لهجة الذي أعيته كثرة المراجعات:

هي خمس وهي خمسون، لا يُبدّل القول لَديَّ!

---

(1) لا ندري كيف تكون 12.5 صلاة فهل هناك فريضة تعدل نصف صلاة؟؟؟.

ورجع محمّد إلى موسى الذي أمره بمراجعة ربّه بدعوى أنّ أمته لا تطيق خمس صلوات أيضًا فكان جواب محمّد الذي تعب من كثرة المراجعات: إستحييتُ من ربّي.

وعَلّقت أنا على هذه الرواية المخزية بقولي:

ولولا استحياء محمّد من ربّه، لوضع عنّا هذه الصّلاة وريّحني الله يخلّيك.

فعلى إخواننا من أهل السنّة والجماعة أن لا يُغالوا في الإستهزاء من معتقدات إخوانهم الشيعة ويُحاولوا تقريب وجهات النّظر بالنّظر في عُيوبهم قبل النظر في عيوب الآخرين.

وقديمًا قيل: من نظر في عيوبه شُغِل عن عيوب الناس وكان أحد الصالحين يقول: بارك الله في من أهداني عيوبي. وقيل أنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال لبني إسرائيل مُعاتبًا:

أنتم لا تبصرون خشبةً في أعينكم ولكنّكم تبصرون قِشّةً في أعين الناس.

ولا بأس بإعادة المثل الشائع عندنا: إذا كان بيتك من زُجاج فلا ترمي بيوت النّاس بالحجر.

وما أحوجنا إلى المحبة والأخوة والتضامن.

ما أحوجنا إلى الوحدة التي دعانا الله إليها: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

أيدينا ممدودة إلى إخواننا من أهل السنّة والجماعة للبيعة والمصافحة كما أحضاننا مفتوحة للمحبة والمودّة والتعاون على البرّ والتقوى.

* * *

السُّجود على التّراب

ومن الإستفزازات التي يُثيرها بعض من أهل السنّة والجماعة ضدّ إخوانهم من الشّيعة هي مسألة السّجود على التّربة وينبزونهم بأنّهم يعبدون الحجر لأنّ السجود هو أرقى وجوه العبادة.

وأنا أذكر في أوّل مقابلة كانت لي مع السيّد محمّد باقر الصّدر وكنتُ سنّيًّا متعصّبًا ضد الشيعة فكانت إنتقاداتي كلّها جارحة، ومن جملة النقد قلتُ له: لماذا أنتم تسجدُون للحجر؟

فقال: نحن لا نسجد للحجر بل نحن نسجد على الحجر فهناك فرقٌ بين قولنا: يجب السُّجود على التُّراب، أو يجب السُّجود للتُّراب!

ونحن نقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يتّخذ قطعة من تراب الأرض ليسجد عليها ـ وكان يقول: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».

ومعنى الحديث أنّ السّجود لا يكون إلا على الأرض وكذلك

يتطهّر بالأرض عندما يفقد الماء.

فلماذا كلّ هذا التّهويل ضدّ الشيعة الذين لا يفعلون شيئًا إلا تقليدًا لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ألم يقل كتاب الله العزيز في هذا الصّدد:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[1].

وهناك أحاديث كثيرة وردت في صحاح أهل السنّة والجماعة يقرأونها ولا يطبقون أحكامها.

منها قوله صلى الله عليه وآله: «لا يصحّ السجود إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض غير مأكولٍ ولا ملبوس».

وجاء في صحاح السنّة أيضًا: نُهينا عن السُّجود على العمامة فكنّا نأخذ قبضة من الحصى نبردها من شدّة الحر لكي نسجد عليها.

وكانت مساجد المسلمين التي تقام فيها الصّلوات كلّها مفروشة بالحصر وهي نبات الأرض الذي لا يُؤكل ولا يُلبس وكانوا يصنعون سجّادات من سعف النّخيل وكلّه جائز.

---

(1) الأحزاب، آية 21.

أمّا اليوم فإينما ذهبت في كلّ العالم الإسلامي وحيث وجدت مساجد للصّلاة فسجدها كلّها مفروشة زرابيّ أو ما يُسمّونه مُوكَات (Moquette) وهي من مواد بترولية ومواد مجهولة الهويّة.

صحيح أنّ مساجد الشّيعة أيضًا كلّها مفروشة بالسّجاد الفاخر ولكنّهم لا يسجدون عليها أبدًا ففي مدخل كلّ مسجد يجد المصلّي صندوقًا مليئًا بالتربة الحسينيّة فيأخذ ما يشاء منها ويتّخذها مسجدًا له وبعد فراغه من الصّلاة يعيدها مكانها لأنّها من الوقف الذي لا يجوز لأحدٍ التملّك به.

فالشّيعة يحتاطون في كلّ عباداتهم وعقائدهم لتكون مطابقة للسنّة النبويّة الشّريفة ولا يستخفّون بالصّلاة لأنّها عندهم خير الأعمال كما جاء في الأذان الصّحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه بعد نداءِه حيّ على الفلاح كان ينادي: حيَّ على خير العمل مرّتين، وهو أيضًا ما يؤذن به الشيعة حتّى اليوم.

أوليسَ من المفروض أن نشكر الشّيعة على تمسُّكِهم بالسنّة الصحيحة بدلاً من إنتقادهم والإستهزاء بعقائدهم، لأنّ من يستهزء بعقائد الشيعة إنّما هو يستهزؤ بالسنّة النبويّة الصّحيحة التي توارثوها عن النّبي صلى الله عليه وآله من طريق صاحبها الأصلي علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكلّما ذكرتُ إستهزاء أهل السنّة والجماعة بعقائد الشّيعة إلا وتذكّرت قول الرّسول صلى الله عليه وآله:

«سيأتي على النّاس زمانٌ يُصبح فيه المعروف منكرًا والمنكرُ معروفًا».

نعم إنّه بالفعل هذا الزّمان الذي أصبحت فيه السنّة الصحيحة المرويّة عند الشيعة والسنّة بأنّها من أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وآله أصبحت مجهولة ومنكورة.

أمّا البدع التي أدخلها بنو أميّة في الدّين أصبحت هي المعروفة والمتداولة.

أضف إلى كلّ ذلك فإنّ القرآن الكريم يُشير إشارة واضحة للسّجود على الحجارة في قوله:

﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[1].

فالسّجود على الزرابي والموكيت لا يترك أثرًا أبدًا وإنّما الذي يترك أثرًا هو السّجود على الحجر القاسي.

إضافة أخرى من صحاح أهل السنّة والجماعة ففي البخاري

---

(1) الفتح، آية 29.

ومسلم يقول الرسول لعائشة:

«ناوليني الخُمرة، قالت: إنّي حائض، قال: ليست حيضتك في يدك».

وشارح الحديث يقول: الخُمرة هي قطعة من الطين اليابس مخلوط بالتبن كان الرسول صلى الله عليه وآله يسجد عليها.

فلماذا كلّ هذا التهويل والتشنيع على الشيعة بمجرّد سجودهم على التُّربة، فتراهم محاربون حتى في مكة والمدينة في موسم الحج من أجل التربة فَهَمُّ الجنود والحُرّاس السّعوديين هو نزع التربة وتكسيرها ومنع السجود عليها.

وهذا تطفّل على الدّين وتكلّف وتعدّي على حرّيات النّاس وحقوقهم قال تعالى في محكم كتابه:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

* * *

(1) الشورى، آية 15.

المسح على الرّجلين في الوضوء

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا...﴾[1].

وقد أخذ هذا الجدل مأخذاً عند الصحابة والتابعين لهم فمنهم من كان يرى المسح على الرجلين ويقول بأنها معطوفة على مسح الرؤوس لأنّها قُرأت بالجرّ.

ومنهم من كان يرى غسل الرّجلين ويقول بأنّها معطوفة على الوجه واليدين لأنّها قُرأت بالنَّصب.

وبين قراءة النصب والجرّ إختلف المسلمون وتاهوا وتفرّقوا في أمرٍ تعبّدي، وكأنّهم لم يعيشوا مع من أنزل عليه القرآن سنواتٍ عديدة وهو يتوضّأ أمامهم مرّتين أو ثلاثة في كلّ يومٍ.

---

(1) المائدة، الآية 6.

إنّها السّياسة التي ما دخلت في شيء إلا أفسدته، نعم السّياسة إذا أرادت تغيير أيّ شيء فستجد لها أعوانًا ومُساندون مأجورون يقلّبون الحقائسق ويستدلّون بكلّ دليل ولو كان باطلاً، ويحلفون بالله أنّهم صادقون.

يقول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[1].

نعم يروي بعضهم أنّه، كان يتوضّأ بحفنةٍ من الماء وكان يمسح على رجليه.

ويروي البعض الآخر أنّه كان يتوضّأ ثلاثًا فيغسلُ رجليه ثلاثًا.

فمن منهم الصّادق ومن منهم الكاذب؟

ولو إلتفتنا إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله:

«تركتُ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدًا».

وهو حديث صحيح أخرجه الصّحاح من أهل السنّة

---

(1) البقرة، آية 204.

والجماعة[1].

وأهل البيت أدرى بما فيه إذا نطقوا صَدقوا وإذا صمتوا لم يُسبقوا، هم عدل القرآن وكنوز الرحمان.

وأهل البيت وشيعتهم كلّهم يمسحون على أرجلهم في الوضوء ولا يختلف منهم في ذلك أحدٌ.

ولأنّ اللّغة العربية تأبى فصل العاطف والمعطوف عليه بكلمة واحدة، فما بالكم بجملة كاملة وهي قوله ﴿**وامسحوا برؤوسكم**﴾ وكان من المفروض لو صدقوا في تأويلهم أن تكون الآية باللغة العربية كالآتي:

«**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا...**».

ويقول الزمخشري وهو المشهود له بالتبحّر في اللّغة العربية بأنّ المسح على الأرجل هو الواجب في القرائتين، فإذا قُرأت بالجرّ فهي مجرورة بالجوار وتقديرها «وامسحوا برؤوسِكُم وبأرجُلِكُم» وإذا قُرأت بالنّصب فهي منصوبة على المحلّ وتقديرها «وامسحُوا

---

(1) صحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، والحاكم في المستدرك، وغيرهم كثير.

أرجُلَكُم» فهي مفعول به والمفعول به دائمًا منصوب.

وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمّة كما يُسمُّونه يُفصِح ويفضَح أتباع السّياسة الذين يحرّفون الأحكام تبعًا لهوى الحُكّام المتسلّطين على رقاب النّاس فيقول صراحة:

لا أجِدُ في كتاب الله إلا غسلتين وهما غسل الوجه واليدين ومَسحتين وهما مسحُ الرأسِ والرجلين، وتأبون إلا إتباع سنّة الحجّاج بن يوسف.

والحجّاج بن يوسف وهو الوالي من قبل عبد الملك بن مروان كان يزجر النّاس قائلاً: أنتم أعراب بوّالين على الأعقاب إذهبوا فاغسلوا أرجلكم. فاتّخذت من عهده سنّة إتّبعها النّاس ولأنّ عبد الملك بن مروان الذي أصبح أمير المؤمنين وكان عثماني الهوى وهو الذي وضع رواية عن ابن عمّه عثمان بن عفّان أنّه إستدعى بإناء مملوء بالماء وقال سَأريكم وضوءَ النبي صلى الله عليه وآله فغسل وجهه ثلاثًا ويديه ثلاثًا ومسح رأسه ثمّ غسل رجليه ثلاثًا.

وهكذا هي سياسة بني أميّة يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله لتحريف النّاس عن السنّة النبويّة وإبدالها ببدعٍ أمويّة وهمّهم الوحيد هو بعث البلبلة والإختلاف والفتنة في المسلمين ليُصبحوا

طوائف ومذاهب متعدّدة. وهي سياسة خبيثة هدفها: «فرّق تسُد».

ويضيف إبن عبّاس حجة أخرى قطيعة لا تقبل الشكّ لأنّه كان يُعاني من هؤلاء المنافقين الذين كانوا يُعارضونه في كلّ ما تعلّمه من النبي صلى الله عليه وآله.

يقول إبن عبّاس: ألم تَرو أنّ الله سبحانه وتعالى لمّا أبدل الوضوء بالتيمّم فإنّه ألْغى المسْحتين مسحة الرأس والرجلين، وأبدل الغَسلتين غسلةُ الوجه واليَدين بمسحتين ترابيتين.

وهي حجّة دامغة لأنّ الأرجل كانت في الوضوء ممسوحة فألغيت مع مسحة الرأس ولو كانت الأرجل مغسولة في الوضوء لوجب مسحها في التيمّم كالوجه واليدين.

فاعتبروا يا أولي الألباب وتدبّروا القرآن.

لكن رجال السّلطة والحكّام أقوى من كلّ حجة ودليل لأنّ معهم الأموال التي تغيّر الأحوال وليحتجّ ابن عبّاس وغيره، وليحتجّ علي بن أبي طالب ولكن حجّة القوي هي دائمًا التي تسود وتبقى والقويّ ليس بعضلاته وقوّة جمسه فعليّ أقوى الصحابة وأشجعهم.

وإنّما القويّ من يملك المال، فالنّاس عبيد الدنيا يركضون وراء المال ويبيعونه أنفسهم وأوطانهم وكلّ القيم في سبيل الحصول

عليه فهذا صحابي إسمه سمرة بن جندب ولّاه معاوية ولاية البصرة وأعطاه ألف دينار ليروي بأنّ الآية التي تقول ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1] بأنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب، فرفض فضاعف له العطاء فرواها رغبة في المال الّذي قدّمه معاوية كما روى أيضاً مقابل المال بأنّ الآية التي تقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2] نزلت في عبد الرحمن بن مُلجم الذي قتل علي بن أبي طالبٍ فإذا كان صاحب رسول الله تغرّه أموال الدّنيا فيبيع آخرته بدنيا زائلة، فلا لوم على عامة النّاس الذين لم يُعاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتأثروا بهديه.

وعلى إخواننا من أهل السنّة والجماعة أن لا يُهملوا المواقف السّياسية التي لعبت في كلّ أدوار التّاريخ ولا يهملوا ما فعله معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأضرابهم والذين لقّبهم

---

(1) البقرة، آية 206.

(2) البقرة، آية 207.

المؤرّخون بدُهاة العرب والذين قال الله في شأنهم:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[1].

وفي ختام هذه الفقرة نقول بأنّ كثيرًا من المسلمين تركوا الصّلاة لصعوبة الوضوء الذي أصبح في بعض الأوقات لا يُطاق لشدّة البرد لأنّ غسل الأرجل خمس مرّات في اليوم ليس بالأمر السّهل حتّى قال أحدهم لولا الوضوء ما ترك مسلمًا صلته بالله.

* * *

(1) إبراهيم، آية 46.

الجمع بين الصّلاتين عند الشّيعة

وقبل الدخول في هذا الموضوع أودُّ أن أقصّ عليكم قصّة واقعيّة تتعلّق بهذا الأمر.

كان عندنا في مدينة قفصة رجل أجنبيٌّ من إيطاليا إسمه «سَانْزُو» وهو مقاول كبير في بناء الطرقات والجسور وله معامل لقطع الحجارة من الجبال وتحويلها إلى مواد أوّلية للبناء، ويملك من التراكسات أكثر من عشرة.

ولهذا المقاول أكثر من ثلاثمائة عامل يعملون تحت إدارته وكلهم عرب مسلمون.

وبما أنّ الرّجل كان سخيًّا وكريمًا ويُعين بعض عماله على بناء ديارهم ويُداوي مرضاهم ويتحنّن على فقراءهم قال له بعض من يشتغلون عنده:

يا سيّد «سانزو» لو تعتنق الإسلام ستدخل الجنّة قبلنا! فقال: ماذا أفعل حتّى أكون مسلمًا؟ قالوا: تأتي إلى المسجد وتضع يدك في

يد الإمام وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله.

نزل الرجل على رغبتهم وذهب معهم إلى الجامع فاستقبله الإمام ورحّب به وشهد الشهادتين وأصبح مسلمًا.

عقدوا له حفل تكريم وكان الطبّال والزكّار وبعض المسلمين يطوفون به في كلّ مساجد المدينة فرحين باعتناقه دين الإسلام حتّى بدأووا يفكّرون بختانه.

وفرح «سانزو» لأنّ أغلب سكّان المدينة جاؤوا يهنّؤونه ويُقبّلونه بكلّ حرارة ومحبّة.

وفوجئ «سانزو» في اليوم الموالي بطرق باب منزله بقوة فخرج مُسرعًا لا يدري ما السّبب فوجد شابّين من الإخوة يقولان له: يا أللّه بسرعة لا تفوتك صلاة الفجر، فاحتار المسكين ولبس ثيابه بسرعة ومشى معهم فأدخلوه إلى الميضة وعلّموه الوضوء فكان في نزع جواربه وحذاءه مشقّة بالنسبة إليه ولكنّه فعل كل ذلك على مضض، ثم أدخلوه إلى الجامع وصلّى خلف الإمام مع جماعة صغيرة لا تتعدّى العشرة.

وكان الفصل شتاء فرجع المسكين إلى بيته يرتعش ودخل فراشه واستسلم إلى نوم عميق حتّى أنّ المسؤول الذي كان يُشرف

على الخدّامة لم يتمكّن يومها من استلام المفاتيح لتشغيل المحرّكات إلا بعد العاشرة بدلاً من السّاعة الثامنة. وخرج «سانزو» من بيته إلى شغله مُتأخّرًا ورجع نصف النّهار ليقول لزوجته هاتي الغداء بسرعة لأنّني لم أفطر فطور الصباح.

وهيّأت زوجته له الغذاء وجلس على طاولته كالعادة لتناول الغداء، وإذا بالباب يخبّط بشدة وخرج ليجد نفس الولدين يستعجلوه لصلاة الظهر فأكل لقمة أو لقمتين وخرج معهما للوضوء والصّلاة. رجع إلى البيت بعد ساعةٍ لأنّ الإمام أخّر الصّلاة لانتظار بعض المتأخّرين، قال لزوجته: سأنام قليلاً لأستريح قبل الذهاب إلى الجبل، وغطّته زوجته.

وما هي إلا ساعتين وإذا بالباب يخبّط من جديد وبشدة، قام «سانزو» من فراشه ليجد صاحباه يستعجلونه لصلاة العصر وخرج معهم للوضوء قبل الدخول إلى مسجد الصّلاة وهو بدأ يقلق ولكن حلاوة اللقاء مع المصلّين الذين يتسابقون إليه لتقبيله والدعاء له بكل خير أنسته القلق والجوع والتّعب.

رجع إلى البيت بعد صلاة العصر فسألته زوجته قائلة: أنت لم تذهب اليوم إلى الجبل ولم تراقب العمّال كالعادة؟

فقال: لا والله وإنّني أخشى ما أخشاه أن يتوقّف العمل أو يتعطّل بعض المحرّكات عن العمل.

وخرج «سانزو» بسرعة على سيارته الخاصّة وصعد إلى الجبل وتفقّد بعض الأشغال وبعض الدّفاتر الخاصّة بمصاريف العمّال، ورجع لتوّه يريد فقط الراحة واستقبلته زوجته بصحفة من الحساء السّاخن لأنّه لم يأكل كعادته معها ولم يشبع في بطنه ولكنّه رفض الأكل وكان همّه الوحيد طلب الرّاحة بعد رحلته إلى الجبل ووضع «سانزو» رأسه على الوسادة وإذا بالباب يخبّط من جديد والشّابّان يُناديان «سانزو» لصلاة المغرب التي لا تقبل التأخير.

وخرج معهم «سانزو» وهو يلعن في نفسه المصيبة التي حلّت به في هذا اليوم المشؤوم، توضّأ وصلّى ولم يجلس للتهنئة كما فعل سائر اليوم، ولكنّه رجع بسرعة إلى بيته معتذرًا لإخوانه المسلمين بأنّ زوجته مريضة، وما إن دخل إلى البيت إرتمى على فراشه دون أن ينزع ثيابه مثل عادته وتركته زوجته وما أرادت إزعاجه، وما هي إلا ساعة ونصف أحسّ خلالها «سانزو» بشيء من الراحة والهدوء.

وإذا بالباب يخبّط من جديد وتخرج الزوجة لتقول للشابين المسلمين: ألم ينتهِ النهار نحن الآن في اللّيل فيجيبان، أنهضي

زوجك لصلاة العشاء يرحمه الله.

فيطلّ عليهما «سانزو» من الشبّاك هذه المرّة قائلاً: بلاش إسلام، بلاش مسلم، إنّ دينكم دين بطّالة، وأنا خدّام فلا يمكن لي أن أكون مسلمًا وأغلق الشبّاك.

هذه القصّة الواقعيّة تفيد بالفعل بأنّ الصّلوات الخمس المتوزّعة على كامل اليوم لا يمكن لأيّ عاملٍ أو أجير يعمل لكسب معاشه أن يقيمها في وقتها ولأنّ في زمن الرسولﷺ ما كان هناك إلا ثلاث أصناف من العمل: إمّا تاجرًا، أو فلّاحًا، أو صَانعًا. وهؤلاء كلّهم أحرار وبإمكانهم إيقاف العمل وأداء فريضة الصّلاة في وقتها، ولم يعرفوا الوظيفة العموميّة إلا في الأزمان المتأخّرة.

فالحكومة اليوم هي التي تتحكّم بالوظيفة العمومية فالوزراء والنوّاب والجيش والشرطة والجمارك والأساتذة والمعلمين والعمال في البلدية وفي غيرها من المؤسّسات الحكومية والذين يتقاضون من الدّولة أجرةً مقابل ثمان ساعت من العمل هؤلاء كلّهم لا يقدرون على إقامة الصّلوات في أوقاتها إلا بسرقة وقت الحاكم.

كنتُ أستاذ أدرس الطّلبة في مدرسة ترشيح المعلمين في قفصة

وكان زميلي السيّد محمّد بن مشري وهو إمام وكنا في وقت الرّاحة التي تدوم عشر دقائق نذهب مسرعين للوضوء ثم نختلي في إحدى القاعات الفارغة ونُصلّي صلاة الظهر والعصر جمعًا. ويضرب الجرس ويدخل الطلبة صحبة أساتذتهم لقاعات الدراسة، ولا يبقى إلا طلبتي وطلبة سيد محمّد بن مشري رحمه الله فيأتي المدير ويسأل الطلبة: أين أساتذتكم؟ فيقولون له: ذهبوا للصّلاة.

فيبقى المدير يبحث عنّا من قاعة إلى أخرى وبالنّهاية يعثر علينا وقد فات من الوقت ربع ساعة فيكلمنا بغضب قائلاً: الدولة تخلص فيكم للتدريس وليس للصّلاة وإذا كنتم تريدون إقامة الصّلاة فشدّوا دياركم!.

وكنّا بطبيعة الحال نحقد عليه وعلى الحكومة التي نتّهمها بالكفر لأنّها تمنعنا من الصّلاة.

هذا إعتقادي عندما كنت سنّيّ على مذهب السلفية، ولكن وبعد استبصاري وإتباع أهل البيت عليهم السلام، عرفتُ واقتنعتُ بأنّ الوقت الذي أتقاضى عليه أجرة، لا يجوز لي أن أسرق منه لأجل الصلاة، لأنّ صلاتي باطلة لا يقبلها الله سبحانه وتعالى ولأنّي لم أستأذن من الحاكم ولم يأذن لي الحاكم أن أخذ من وقته

فصلاتي باطلة والفقه الإسلامي علّمني بأنّ ماء الوضوء إن لم يكن على مُلكي فلا بُدّ من الإستئذان من صاحبه وإلّا كان الوضوء باطلاً وإذا كان الوضوء باطلاً كذلك الصلاة.

إذن أصبحت الصلاة المكتوبة مُشكلاً مُحيّرًا بالنّسبة لكلّ الموظّفين العُموميين ويا ويلهُم إذا إستجابوا لأمر الله سُبحانه الذي جعل الصّلاة على المؤمنين كتابًا موقوتًا فإنّ الحاكم سيطردهم من عملهم ويُعوّضهم بآخرين. وإذا إحترموا أوقات العمل فإنّهم سيضيّعون الصّلاة ويعيشون في حيرةٍ وشعور بالذنب وتتعكّر بذلك حياتهم.

فما هو الحلّ؟ أفتى بعض العلماء لهؤلاء أن يجمعوا كلّ الصّلوات في اللّيل عندما يفرغُون من العمل وقالوا: الضرورات تُبيح المحضورات.

وهذا الحل ليس في متناول الجميع لأنّه متعب ويتنافي مع قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ما جعل عليكم في الدّين من حرج**﴾، وكذلك قوله: ﴿**يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر**﴾ وهذا الحلّ فيه العسر والحرج، أتُرى أنّ الله سبحانه وتعالى الذي وسعت رحمتُه كلّ شيء غفل عن هذا؟

حاشاه وهو العزيز الحكيم وهو اللّطيف بعباده وهو الحيّ القيّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نومٌ، لم يغب على علمه بأنّه سيأتي زمانٌ يُصبح فيه المسلم مجبورًا على شُغلٍ بأوقاتٍ محدّدة تتعارض مع أوقات الصّلوات الخمس المكتوبة، من أجل ذلك أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله أن يُصلّي صلاة الظهر والعصر في وقت واحدٍ، والمغرب والعشاء في وقتٍ واحدٍ ليُخفّف بذلك على المسلمين فلا يبقى هناك حرجٌ.

وطبّق الرّسول صلى الله عليه وآله أوامر ربّه، فصلّى الظّهر والعصر جميعًا وصلّى المغرب والعشاء جميعًا في المدينة في غير خوف ولا سفر ولا مطر.

وسأله الأصحاب: لماذا جمعت الصّلاة يا رسول الله؟

وكان الجواب: لكي لا أُحرج أمّتي! [1]

وبهذا الحلّ لا يبقى بعد ذلك إشكال في إقامة الصّلاة في أوقاتها لكلّ العمّال والموظّفين.

أعطي لذلك مثالاً:

---

(1) جاء هذا في صحيح مسلم باب الجمع بين الصلاتين في غير خوف ولا سفر كذلك في مسند أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم.

أنا كأستاذ مفروض عليَّ أن أباشر عملي على السّاعة الثامنة صباحًا إلى منتصف النّهار وتُسمّى الفترة الصباحية ثم أعود بعد الزوال على السّاعة الثانية إلى السّاعة السّادسة وتُسمّى الفترة المسائية.

وكنت في ما مضى تفوتني صلاة العصر وصلاة المغرب فكنت أجمع عند رجوعي في الليل صلاة العصر وصلاة المغرب وكذلك صلاة العشاء.

وبعد إعتناقي مذهب أهل البيت عليهم السلام زال الإشكال لأنّي أصبحت أصلّي صلاة الظهر وصلاة العصر قبل رجوعي للفترة المسائية، وفي الليل أصلّي صلاة المغرب وصلاة العشاء وعندما أستيقظ في الصباح أصلّي صلاة الصبح.

قال لي إمام المسجد مُنتقدًا: ﴿**إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا**﴾.

أجبته: نعم وقد صلّيتها في أوقاتها الشّرعيّة! قال: وكيف ذلك؟

قلت: الظهر والعصر وقتها مشترك من زوال الشمس إلى غروبها، والمغرب والعشاء وقتهما مشترك من غروب الشمس وزوال الشفق الأحمر إلى الثلث الأخير من الليل، وصلاة الصبح

وقتها من طلوع الفجر إلى شروق الشمس.

قال الإمام: لم أفهم.

قلت: لا يمكن لك أن تُصلّي صلاة الصبح بعد شروق الشمس كما لا يمكن لك أن تصلّي الظّهر والعصر قبل زوال الشّمس ولا بعد الغروب، كما لا يمكن لك أن تصلّي صلاة المغرب والعشاء قبل الغروب ولا بعد طلوع الفجر.

وبهذا الحلّ لا يبقى لأيّ مسلم عُذرًا في ترك الصّلاة ولأنّي وجدتُ هذا الحلّ يتطابق مع قانون الشّغل العالمي وطبّقته على عملة المناجم في المتلوي والذين كانوا يتناوبون الشغل طيلة أربع وعشرين ساعة، فهناك فريق أوّل يعمل من السادسة صباحاً حتّى الثانية بعد الزوال، والفريق الثّاني يعمل من الثانية بعد الزّوال إلى العاشرة ليلاً، والفريق الثّالث من العاشرة ليلاً وحتّى السادسة صباحاً.

وكل الفرق الثلاثة بإمكانهم أن يُصلّوا كلّ الصلوات في أوقاتها وبدون مشقة ولا حرج.

وأغلب أهل السنّة والجماعة لا يعرفون هذا الحلّ ورغم وجوده في صحاحهم فهم حتّى الآن يستغربون من إخوانهم الشيعة لأنّهم يجمعون الصّلاتين.

* * *

رَفض الخلفاء الثّلاثة

أهل السنّة والجماعة يلقّبون الشّيعة بالرافضة وبعض العوام من النّاس يظنّون بأنّ الرّوافض هم الذين رفضوا الدخول في الإسلام وبَقوا على كفرهم وشِركهم وهذا غير صحيح إنّما نبزوهم بهذا اللّقب لأنّهم رفضوا البيعة لأبي بكر بن أبي قُحافة ولعمر بن الخطّاب ولعثمان بن عفّان، ولم يعترفوا بالبيعة الشّرعية الصحيحة إلا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

والشيعة الرّوافض إنّما تقيّدوا بما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن أخيه وابن عمّه أبو الحسن ولم يكن رفضهم للخلفاء من باب التعصّب أو من باب القرابة العشائرية أو من باب الكراهية.

وإنّما لإيمانهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمت إلا بعد ما عيّن خليفته على الأمّة بنُصوصٍ صريحةٍ لا تقبل الشكّ، ويُضيفون بأنّ علي بن أبي طالب عليه السلام لم يُبايع الخلفاء الثّلاثة طيلة حياته، لأنّهم

هُم الذين بايعوه في غدير خُمّ بعد حجّة الوداع بحضور النبي صلى الله عليه وآله، يوم أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله إستخلافه لعلي بن أبي طالب وقوله: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهمّ والِ من والاه وعادِ مَن عاداه وانصُر من نصره واخذل من خذله وأدِر الحقّ معه حيث ما دار».

وبهذا الإعلان الصّريح أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

وبهذا الإحتفال الذي حضره أكثر من مائة ألف صحابي عقد الرسول صلى الله عليه وآله موكب البيعة والتّهنئة لعلي بن أبي طالب فكان من أوّل المبايعين أبو بكر وعمر يقولان لعليّ: بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولانا ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة!

هذا ما أخرجه وسجّله تاريخ المسلمين عند السنّة والشّيعة على حدّ سواء، ولا ينكر ذلك إلا المنافقون الذين كانوا معروفين ببغضهم للإمام علي حتّى في حياة النبي صلى الله عليه وآله والذين يُحاولون بكل جهودهم تأويل الحديث لغير معناه الحقيقي فيقولون الحديث صحيح ولا شك فيه ولكنّ الرسول أراد أن يقول: من كنت محبّه فعليّ محبّه. وهو تفسير سخيف لا يقبله عقل سليم ولا يتماشى مع الموقف الذي وقفه الرسول صلى الله عليه وآله من تلك الواقعة إذ أنّه وقبل

الإعلان سألهم: ألستم تشهدون بأنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! وهو تأكيد لقول الله تعالى: ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفُسِهِم﴾[1]، وبعد ما أجابوه بأنّه أولى بهم من أنفسهم، عند ذلك رفع يد علي بن أبي طالب وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» وهذا يعني:

من كنت أنا محمّد رسول الله أولى به من نفسه، فإنّ هذه الولاية قد انتقلت منّي إلى علي بن أبي طالب فأصبح عليٌّ أولى بكم من أنفسكم.

ثمّ ختم هذا الإعلان بالدّعاء لكلّ من نصر عليًّا كما دعا على كلّ من خذل عليًّا.

فالشّيعة هم الذين والوا عليًّا ونصروه واتّبعوا هديهُ، وأهل السّقيفة هم الذين خذلوه وأقصوه عن منصبه الذي اختارهُ اللهُ ورسولهُ.

وهو القائل في خطبته الشقشقيّة المعروفة:

«أمَا وَاللَّه لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة وإنَّهُ يَعْلَمُ أنَّ مَحَلّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنّي السَّيْلُ ولا يَرْقَى إلَيَّ الطَّيْرُ

(1) الأحزاب، آية 6.

فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً.

وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وفِي الْعَيْنِ قَذًى وفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابن الخطّاب بَعْدَهُ.

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا والاعْتِذَارُ مِنْهَا.

فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وشِدَّةِ الْمِحْنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ.

فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وطِرْتُ إِذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ ومَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ ومُعْتَلَفِهِ وقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ.

فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ الى كَعُرْفِ الضَّبُعِ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عطافى مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ.

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ ومَرَقَت أُخْرَى وفسق آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا الله حيث يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَسَاداً والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

بَلَى واللَّه لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا ولَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا.

أَمَا والَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لا حُضُورُ الْحَاضِرِ وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ومَا أَخَذَ الله عَلَى الْعُلَمَاءِ أن لا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ ولا سَغَبِ مَظْلُومٍ لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ولَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ولأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ».

هذه الخطبة تحكي باختصار كلّ المؤامرة التي حِيكت ضدّ أمير المؤمنين من يوم السقيفة وحتّى آخر حياته عليه السلام.

وأنا شخصيّاً لم أجد في كتب التّاريخ تفسيرًا مُقنعًا مثل ما وُجد في هذه الخطبة!

ولأنّها تكلّمت عمّا فعلَه الخلفاء الثّلاثة بحقّ صاحب الخلافة الشّرعي وكشفت المستور الذي أخفاه بنو أميّة لذلك أنكرها أهل السنّة والجماعة وبعضهم أنكر كتاب نهج البلاغة لوجود هذه الخطبة.

والمحقّقون والمُنصفون الذين لا ينفرون من الحقّ ولو كان مُرًّا يعرفون أنّ كلّ ما جاء في هذه الخطبة سجّلهُ المؤرّخون في كتبهم ولكنّه وصلنا متفرّقًا ومتناثرًا ولا يكاد الباحث يجمع فصوله إلا بشقّ الأنفس.

وعلى المحقّقين أن يعودوا لقراءة التّاريخ من جديد ليكتشفوا بأنّ نبيّ الإسلام عليه وآله الصّلاة والسّلام لم يُغادر المدينة يومًا إلا واستخلف عليها من ينوبه فهل نصدّق أن يرحل من هذه الدّنيا ولا يستخلف على أمّته من يقوم مقامه!

فهذا أبو بكر عندما أدركته الوفاة إستخلف على الأمّة عمر بن الخطّاب.

وهذه عائشة بنت أبي بكر عندما طعن عمر بالخنجر وتحقّقت من نهايته، بعثت إليه تقول: إستخلف على الأمّة لأنّي أخشى عليهم الفتنة، وبالفعل إستخلف عمر ستّة أشخاص ليختاروا أحدهم

ليكون عليهم خليفة عمر وكان عثمان بن عفّان.

وكلّ هؤلاء فكّروا في الإستخلاف وخافوا من الفتنة إذا بقي منصب الخلافة شاغرًا.

وكلّ هؤلاء يبدو أنّهم أعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يفكّر بمثل ما فكّروا بل تركهم هملاً بدون راعٍ.

نعم أهل السنّة يزعمون أنّه ترك الأمر شورى بين المسلمين، وهو أمر مستحيلٌ لأنّ الخليفة الأوّل لم يعتل منصّة الخلافة بالشورى ومن إدّعى ذلك فهو كذّاب وقد وصف عمر بن الخطاب بأنّ بيعة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله شرّها.

ثمّ أنّه عيّن واستخلف عمر بعده ولم يترك الأمر شورى ولما أدرك الموتُ عمرَ جعلها في ستّةٍ زعم أنّي أحدهم على حدّ تعبير الإمام علي، ولم تكن شورى بين هؤلاء لأنها كانت مؤامرة خسيسة ودنيئة ضد أمير المؤمنين علي إذ أنّهم يعرفون موقفه من أبي بكر وعمر.

فاشترطوا عليه أن يحكم فيهم بسُنّة أبي بكر وعمر فرفض عليٌّ هذا الشرط وقبله عثمان فكان هو الخليفة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد:

«فَيَا لَلَّه وللشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأوَّل مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إلَى هَذِه النَّظَائِر لَكِنّي أسْفَفْتُ إذْ أسَفُّوا وطِرْتُ إذْ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِه ومَالَ الآخَرُ لِصِهْرِه مَعَ هَنٍ وهَنٍ إلَى أنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْه».

ما أعظمك يا أبا الحسن وشبيه المصطفى بل أنت كنفسه كما سمّاك القرآن يا من كنت منه بمنزلة هارون من موسى، ما أعظمك في ذلك الموقف الذي رفضت فيه الخلافة من أجل ذلك الشّرط، لأنّك ما كذبتَ ولا كُذّبت طيلة حياتك وهم يعرفون ذلك منك ولذلك قدّموا هذا الشّرط لعلمهم بأنك لا تقبل به أبدًا.

وما عليك لو قلت نعم ثم خالفت وعدك كما فعل عثمان بن عفّان، حاشاك أن تكون مثل تلك النظائر يا أبا الحسن يا أيّها المثل الأعلى في الصّدق والإخلاص والزهد والتقوى ولأنّك لست مثلهم لذلك تأمّروا عليك وأبعدوك من مسرح الحياة ولو كنت تعمل بالباطل وتتوخّى الغش والنفاق لأحبّوك ولقرّبوك.

أمّا أنت تتبع الحقّ وتعمل بالحقّ وأكثرهم للحقّ كارهون، لذلك لم يترك لك الحقّ أيّ صديق.

ويُنسب إلى الإمام جعفر الصّادق أنّه جاءه بعض أصحابه وقال:

يابن رسول الله إنّ العامّة يلقّبوننا بالرّوافض فقال: وهذا فخر لنا لأنّنا قبلنا الحقّ ورفضنا الباطل.

إنّها الحقيقة المؤلمة التي لا تعجب إخواننا من أهل السنّة والجماعة لأنّهم يفهمون من هذا القول أنّه يقصد من وراء ذلك بأنّ الشيعة برفضهم لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان قد رفضوا الباطل، وبالتالي فإنّ أهل السنّة والجماعة باتّباعهم للخلفاء الثلاثة وتوثيقهم فإنّهم إتّبعوا الباطل وتركوا الحقّ وهي نتيجة حتميّة لا مفرّ منها لكلّ من تتبّع أخبار النبيّ وسيرته وقرأ كتب التاريخ بتجرد وحياد.

قال تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

* * *

(1) الأحزاب، آية 71.

تأخير الصّيام إلى اللّيل

إنّها لعمري آيةٌ قرآنيّة في كتاب الله المجيد، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ...﴾[1].

ألا ترى معي بأنّ الشيعة هم الذين يعملون بأوامر الله سبحانه التي وردت في كتابه العزيز أو في سنّة نبيّه الكريم؟

فلا غرابة في ذلك لأنّهم إتّبعوا الإمام علي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يخالف ما جاء به القرآن والسنّة المطهّرة.

وما يقال في تأخير الصّيام كذلك يقال في تأخير الصّلاة وهي

---

(1) البقرة، آية 187.

صلاة المغرب التي ما بعد غروب الشمس وغياب الشّفق الأحمر عن الرؤيا.

وفرق التوقيت بين أهل السنّة والشّيعة هو ما يقدر بربع السّاعة من خمسة عشر إلى عشرين دقيقة تقريبًا.

هكذا هي المذاهب الإسلامية التي ساهمت في اختلاف المسلمين وما تركت شيئًا يدعو إلى التّفاهم والتقارب والإعتصام بحبل الله.

وإلّا كيف يختلفون في آية قرآنية واضحة وضوح الشمس، نعم قد يختلف المسلمون في السنّة النبويّة هل هي صحيحة أو غير صحيحة لأن صاحب السنّة نفسه يُقرُّ ويعترف بأنّ البعض قد أكثروا الكذب عليه.

أمّا أن يختلف المسلمون في القرآن الذي يقول منزّله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

فهذا لا يجوز الإختلاف فيه وبالخصوص الآيات المحكمات الواضحات التي لا تدخل في قسم المتشابهات فهل هناك أوضح من قوله: ﴿ثُمّ أتمّوا الصّيام إلى اللّيل﴾ وهل المسلم أعمى حتّى لا يفرّق بين اللّيل والنّهار؟

قال تعالى:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[1].

ألا يفرّق الإنسان بين نور النّهار وظلمة اللّيل؟

والغريب أنّك تجد من أهل السنّة والجماعة من ينتقد الشّيعة على ذلك التأخير ويسخر منهم.

ومن المفروض أن يكون هذا النّقد موجّهًا إلى أهل السنّة والجماعة من قبل الشّيعة لمخالفتهم لصريح الآية القرآنية.

يا سبحان الله في قوله:

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[2].

كيف يصوم المسلم كامل يومه يرجو بذلك رحمة الله ورضوانه ثمّ لا يصبر ربع ساعة أو عشرين دقيقة فيُفسد صومه لمُخالفته لحكم الله تعالى الذي وقّت الصّيام من طلوع الفجر إلى اللّيل وهو قوله:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾.

---

(1) يس، آية 37.

(2) النور، آية 15.

لكنّ أهل السنّة والجماعة لهم توقيتهم الخاص وعندهم الصّوم من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس، أمّا عند الشّيعة الصّوم من طلوع الفجر إلى اللّيل، فأيّهم هو الحقّ؟

ونصيحتي لك أخي المسلم هو تأخير صيامك إلى اللّيل ليكون صيامك مقبولاً عند الله وتجنّب الشك وتمسّك باليقين فقد قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: «دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك».

❊ ❊ ❊

الشّهادة الثّالثة في الأذان عند الشّيعة

لقد أصبحت الشّهادة الثّالثة عند بعض الشّيعة شعاراً ورمزاً لابدّ منه ليتميّزوا به ومن خلال إعلانه على بقية المسلمين، وكأنّهم بهذه الشّهادة سيُرجعون القيمة المعنوية والقيمة الحقيقية التي فُقدت من عهده عليه السلام حتّى أصبح المسلمون الضّالون يلعنونه من فوق المنابر ويتقرّبون بذلك إلى حكّام بني أميّة الفاسقين.

فلم يكن للشّيعة ردٌّ بالمثل بالشّتم واللّعن على أعدائه ومُبغضيه غير اللّجوء إلى المدح والثناء على أفعاله وخصاله وأقواله فكانت هذه الشّهادة بولايته في المآذن الشّيعية خير تعبير لإبطال وإسكات أولئك الشّاتمين واللاعنين لأمير المؤمنين وإمام المتّقين وسيّد الوصّيين وقائد الغرّ المحجّلين أسدُ الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومع ذلك فإن كلّ المراجع عند الشّيعة بدون إستثناء يُصرّحون بأنّ الشّهادة الثّالثة ليست جزءاً من الأذان وإذا قليت بنيّة الجزئية بطل الأذان، وكذلك بالنسبة للإقامة قبل الصّلاة.

وهذا الكلام يدلّ على أنّهم يعترفون بأنّ هذه الشّهادة الثّالثة «أشهد أنّ عليّاً ولي الله» قد أُضيفت من قبل الشّيعة، وليست سنّة نبويّة ولا آية قرآنية، ولذلك قالوا بالإستحباب أو للتبرّك.

وبالمناسبة أذكر أنّي أثناء زيارتي لدولة الكويت دعاني أحد أقطاب الصّوفية وإسمه على ما أذكر السيّد الرفاعي وكانت الدّعوة للعشاء في ديوانه الذي يجمع عشرات المريدين.

وأكرمني في ضيافته واختلى بي على جانبٍ وقال لي: هل أنت من الذين يقولون: «أشهد أنّ عليّاً ولي الله»؟

فقلت: نعم ولكنّي لا أقولها في الأذان.

فقال: أنتم الشّيعة بهذه الشّهادة بخستم حقّ علي.

قلت: لماذا؟

قال: بقولكم أنّ عليّاً وليّ الله!

قلت: وهل عندك إعتراض على ذلك؟

قال: ولي الله عبدالقادر الجيلاني، وأحمد التيجاني وأحمد بن عيسى وعبدالسّلام لَسْمَرْ وأولياء الله كثيرون، ولكنّ سيّدنا علي هو سيّدالأولياء، كما أنّ سيّدنا محمّد هو سيّد الأنبياء.

إستبشرتُ عند سماعي هذا الكلام منه وقد ظننتُ في البداية بأنّ إعتراضه سَلبيٌّ فإذا به إعتراض إيجابي وفهمتُ بأنّ بعض الصّوفية قد يعرفون حقيقة علي عليه السلام أكثر ممّا يعرفها بعض شيعته، فما كان منّي إلا أن شكرته قائلاً:

لقد إستفدتُ منك يا سيّدي فزدني ممّا علّمك الله سبحانه زادَ الله في عمرك.

فابتسم قائلاً: وأنا أيضاً أستفدتُ من كتابك «ثم اهتديت» ومن خلاله عرفت قيمتك ولذلك دعوتك لتكون من أصدقائي وأحبّائي وأضاف يقول: قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾[1].

قلتُ: جعلنا الله وإيّاكم من المتّقين الذين تحابّوا في الله، فما كان لله دام واتّصل وما كان لغير الله إنقطع وانفصل.

---

(1) الزخرف، آية 67.

وعلى كلّ حال فهناك بعض من الشّيعة لا يذكرون الشّهادة الثّالثة في آذانهم، وقد نقلتُ شخصياً في كتاب «ثمْ اهتديتُ» في المحاورة التي دارت بيني وبين الشّهيد محمّد باقر الصدر رضوان الله عليه الذي قال لي: لستَ مجبوراً بقولها فلا تَقلْها وأنا نفسي لا أقولها!

وهو الذي اطّلعني على كتاب «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق، وهو الشيخ الطائفة كما يُلقّبونه، والذي يعدّ فصول الأذان فصلاً فصلاً وليس منها الشّهادة لعلي بالولاية. ثم يضيف قائلاً:

أمّا الشّهادة الثالثة، فد وضعها المفوّضة ـ لعنهم الله ـ وهم الذين يعتقدون بأنّ الله سبحانه قد فوّض الأمر لمحمّد وعلي.

وأنا شخصيّاً إشتريت كتاب «من لا يحضره الفقيه» لأحتجّ به على المعاندين الذين أتعبونا بالرّوايات المكذوبة عن رسول الله بهذا الموضوع.

هذا وقد زُرتُ العام الماضي آية الله السيّد صادق الشيرازي في بيته وكان من جملة الحاضرين مجموعة من المعمّمين تكلّم أحد السّادة ليسألني قائلاً:

سمعنا أنّك غيرت رأيك وعدلت عن قولك الأوّل؟

قلت: عفواً ما فهمتُ قصدك بأنّي غيرتُ وعدلتُ أي شيء تقصد؟!!

قال: أقصد الشّهادة الثّالثة بولاية علي عليه السلام.

قلت: لا لم أغيّر ولم أعدل ورأيي الأوّل هو نفسه. والذي أخبرك بذلك لم يصدقك.

قال: نحن عندنا رواية تقول بأنّ سلمان الفارسي أو عمّار بن ياسر وبعد بيعة الغدير قام فأذّن بالشّهادة الثّالثة وسمعه الرسول وأقرّه على ذلك.

قلت: رواية مكذوبة ولا أساس لها من الصحة.

فغضب الرجل منّي وقال: أنت تكذّب كلّ الروايات التي لا تروقُ لك.

قلتُ: وأنا لستُ مثلك تصدّق كلّ الروايات التي تروقُ لك فتصيح: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبلها بدون تمحيص.

أما أنا عندما أسمع رواية فلا أقبلها إلا بعد التمحيص والتدبّر وعرضها على كتاب الله تعالى فإن وافقت كتاب الله قبلتها وإلا ضربتُ بها عرض الجدار وهذا هو ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: وكيف عرفت أنّ هذه الرّواية التي ذكرتها لك بأنّها مكذوبة؟

قلتُ: سأريك الآن بحضرة آية الله السيّد صادق بأنّها مكذوبة، فلو كانت هذه الرّواية التي ذكرتها صحيحة لأصبحت سنّة نبويّة، لأنّ السنّة النبويّة كما عرّفها الفقهاء هي فعلية يعني فعلها الرسول، أو قولية يعني قالها الرسول وأمر بها، أو إقرارية يعني أقرّها الرسول ولو كانت هذه الرّواية صحيحة وأقرّها الرّسول لأصبحت سنّة نبويّة، ولو كانت كذلك لما جاز لعلماء الشّيعة ومراجعهم أن يقولوا إذا قيلت بنيّة الجزئية بطل الأذان وكذلك الإقامة.

وهذا آية الله السيّد صادق الشيرازي بيننا!!

فابتسم السيّد صادق قائلاً أمام الحاضرين:

ما يقوله السيّد التيجاني صحيح إنّما الشّهادة الثّالثة أصبحت شعاراً عند الشّيعة.

فقلتُ بدوري: وأنا أشهد أمامكم بأنّ علي ولي الله بلحمي وشحمي ودمي وشعري وكل جوارحي ولكنّي لا أقولها في الأذان؛ لأنّ الأذان الذي تعلمّناه من رسول الله صلى الله عليه وآله سنّة وشيعة

ليس منه الشّهادة الثّالثة ولا الشّهادة الرّابعة كما يقولها بعض الشّيعة، وأشهد أنّ أولاده المعصومين حجج الله.

وزاد مؤذّن في مدينة ديترويت بأمريكا لمّا طلبتُ منه إقامة الأذان فأذّن بشهادات متعدّدة وبعد أن أشه أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمّداً رسول الله زاد: وأشهد أنّ عليّاً ولي الله وأشهد أن ذريّته المعصومين حجج الله. وأشهد أنّ فاطمة الزّهراء سيّدة نساء العالمين.

وفي الختام أتوجّه إلى إخواني من أهل السّنة والجماعة وكذلك إخواني من شيعة أهل البيت عليهم السلام أن يَرجعوا إلى كتاب ربّهم الذي يهدي للتي هي أقوم وسنّة نبيّهم التي هي بيانٌ وتفسير لكتاب الله ويعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرّقوا، ويتعارنوا على البرّ والتقوى ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان ليكونوا عباد الله إخواناً...

إنّها أخوّة الإسلام والعقيدة وهي أقوى من أخوّة الأرحام والقرابة فالرسول صلى الله عليه وآله كان يقول: سلمانٌ منّا أهل البيت في حين أنّ سلمان فارسي ورسول الله عربي ولم تكن بين نوح وابنه رحم

ولم تكن بين رسول الله وعمّه أبي لهب رحم. وكما جاء في حديث قدسي:

«خلقتُ الجنّة لمن أطاعني ولو كان عبداً حبشياً وخلقتُ النّار لمن عصاني ولو كان سيّداً قرشياً».

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَر وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

* * *

(1) الحجرات، آية 13.

الفهرس

المقدّمة 5

سَبّ الصّحابة 9

عدالة كلّ الصّحابة 13

التقيّة 37

نكاح المتعة (الزواج المؤقّت) 57

الغلوّ في علي وأهل البيت عليهم السلام 77

الحزنُ في عاشوراء والتّطبير 91

إنتظار الإمام المهدي 109

الأئمّة الإثنا عشر 119

مُصحف فاطمة عليها السلام 125

القولُ بالبداء عند الشّيعة 133

السُّجود على التّراب 143

المسح على الرّجلين في الوضوء 149

الجمع بين الصّلاتين عند الشّيعة 157

رَفض الخلفاء الثّلاثة 167

تأخير الصّيام إلى اللّيل 177

الشّهادة الثّالثة في الأذان عند الشّيعة 181